
الإمام علي
وقضايا الأمة

ⓗ أطياف للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصفار ، حسن موسى
الإمام علي وقضايا الأمة. / حسن موسى الصفار - القطيف ، ١٤٢٨هـ
٠، ص ؛ ٠سم
ردمك : ٧-٤-٩٨٤٢-٩٩٦٠ -٩٧٨
١- علي بن أبي طالب ٢-الخلفاء الراشدون أ.العنوان
ديوي ٩٥٣,٢٥ ٥٠٤٦/ ١٤٢٨
رقم الإيداع : ١٤٢٨/٥٠٤٦
ردمك : ٧-٤-٩٨٤٢-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م



أطياف للنشر والتوزيع
هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦ +
جوال : ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com



وقضايا الأمة

حسن موسى الصفار



الحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

المحتويات



المقدمة

ما أروع الحديث عن علي بن أبي طالب...

وما أرحب آفاق شخصيته العظيمة...

وما أحوج الأمة في هذا العصر إلى استحضار سيرته المشرقة، ونهجه القويم، وآرائه الهادية.

إن الأمة تحتاج شجاعة علي بن أبي طالب، وهي تواجه غطرسة الاستكبار العالمي، والهيمنة الأجنبية في أكثر من أرض إسلامية.

وتحتاج حكمة علي وصبره في الاختلافات الداخلية، للحفاظ على الوحدة، وحماية السلم الاجتماعي.

وتحتاج نهجه في الإصلاح السياسي، ومحاربة الفساد والتمييز بين الناس، لسيادة القانون وتطبيق العدل والمساواة.

وتحتاج بصيرته وحزمه في مقاومة الخوارج المؤسسين لاتجاهات التكفير والعنف والإرهاب.

نعم، تحتاج الأمة عليّاً في كل جوانب سيرته وأبعاد نهجه وفكره.

وهذه السطور الماثلة بين يدي القارئ الكريم، محاولة متواضعة لاقتباس ومضات من شعاع سيرة علي وفكره، في مقاربة لبعض قضايا واقع الأمة المعاصر، كانت في الأصل محاضرات جماهيرية، ألقيتها ضمن برنامج دعت إليه لجنة الإمام الحسن عليه السلام في القطيف، إحياءً لذكرى شهادة الإمام علي عليه السلام في الليالي التاسعة عشرة والعشرين والحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٧هـ.

وكان البرنامج حافلاً مهيباً بفضل جهود الإخوة الأعزاء في اللجنة، حيث هيأوا ساحة كبيرة، وأضافوا إلى البرنامج العديد من الفقرات النافعة، وكان الحضور الجماهيري حاشداً من الرجال والنساء.

وقد قام بعض الإخوة الأعزاء بكتابة تلك المحاضرات الثلاث، وقمت بتصحيحها وتوثيقها وإعادة الصياغة لبعض فقراتها، ثم تبنَّت لجنة الإمام الحسن عليه السلام طباعتها ونشرها ضمن هذا الكتيب تحت عنوان (الإمام علي وقضايا الأمة)، فلهم جزيل الشكر والتقدير متمنياً لهم مزيداً من التوفيق في خدمة الدين والمجتمع.

والحمدلله رب العالمين

حسن الصفار
القطيف

٥ شعبان ١٤٢٨هـ
١٨ أغسطس ٢٠٠٨م

الإمام علي ووحدة الأمة



في قراءتنا لشخصية الإمام علي بن أبي طالب ﷣ يجب علينا أن نجتهد في إعادة فهمنا له، وذلك انطلاقًا من وحي عصرنا وظروفنا، فعلي بن أبي طالب كتاب عميق المضامين، يتجدد في كل عصر وفي كل ظرف، ويستطيع كل جيل من الأجيال أن يقرأ من هذا الكتاب ويأخذ منه ما ينفعه لواقعه، ولإصلاح شؤونه. وفي قراءتنا علينا ألاَّ نكون أسارى لقراءات السابقين، فكل جيل يقرأ عليًّا من وحي فهمه وبيئته، فهناك من قرأ عليًّا كحالة إعجازية غيبية، كسائر الأولياء الذين يعطيهم الله سبحانه وتعالى مجالاً لخرق العادة وتجاوز المألوف، حينما تقتضي حكمته تعالى وإرادته ذلك، ولكنها حالة استثنائية؛ لأن الأصل في علي وبقية الأئمة والأنبياء ـ عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام ـ أنهم بشر، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1]، فالأصل في حياتهم الحالة البشرية الطبيعية، ولا تكون المعجزة أو الكرامة إلا حين تتطلبها حاجه الرسالة والدعوة.

التركيز على الحالة الإعجازية

إن بعضنا يريد أن يبرِّر لنفسه عدم الاقتداء بالأنبياء والأئمة ﵈،

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

فيصورهم كحالة غير بشرية، حتى يكون معذورًا أمام نفسه وأمام الآخرين في حال لم يقتدِ بهم، إذ لا يمكن الاقتداء والتطابق بين حالة بشرية وأخرى غير بشرية.

هذا بالإضافة إلى ما توارثناه من تصور عن الإنسان البطل، حيث نرسم له صورة في أذهاننا وكأنه رجل خارق للعادة، وهو تصور بشري عام، فنرى مسلسلات الرسوم المتحرّكة الموجّهة للأطفال، تُظهر البطل دائماً على شكل إنسان خارق، وصاحب قوّة جسدية عظمى، ولديه قدرات غير طبيعية.

وإذا كنا لا ننكر أصل حدوث المعجزات والكرامات للأنبياء والأولياء، بإذن الله تعالى، وليس بقدرة ذاتية منهم، كما تحدث القران الكريم عن معجزات الأنبياء كنبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[١]، وكما ورد في القران الكريم من كرامة للسيدة مريم بنت عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

إضافة إلى ما يرويه المسلمون من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله، وما ترويه مختلف طوائف الأمة من كرامات لبعض الصحابة والأئمة والأولياء.

لكن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، إنما يأذن الله تعالى بتحققها على أيديهم في حالات استثنائية، تقتضيها حكمته وإرادته، وليست حالاً

(١) سورة آل عمران: الآية٤٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية٣٧.

دائماً، ولا بيد النبي أو الولي، لذلك ردّ النبي محمد ﷺ طلبات المشركين منه فعل الخوارق، كأن يفجر عين ماء جارية من الأرض، أو يسقط عليهم كسفاً من السماء، أو يصنع بيتاً من ذهب...فأجابهم كما يقول تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

إلا أنَّ هناك شيئاً من المبالغة والغلو في تراث الطوائف والمذاهب، حول حصول المعجزات والكرامات للأنبياء والأئمة والأولياء، ولا يصح أن نقبل منها إلا ما جاء بسند معتبر، ولم يخالف شيئاً من ثوابت الكتاب والسنة.

التركيز على جانب المأساة:

وهناك قسم من المحبِّين قرأ عليًّا عليه السلام كحالة مأساة، وهذه جنبة واقعية في حياة الإمام علي عليه السلام، فقد تعرض عليه السلام لظُلامات كثيرة في حياته، وحتى بعد مماته، ولكن فاعلية جهده وجهاده أكبر من أن تُحَجَّم في زاوية المأساة والظلامة.

إن بعضنا يصف ما يقرب النصف من حياة أمير المؤمنين عليه السلام بأنها فترة انطواء وانعزال، وأنه لم يقم بأي عمل عام بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أن تولى الخلافة، أي طوال خمس وعشرين سنة (ربع قرن من الزمن) لم يصنع شيئًا ولم يقم بأي دور!.

إن من يُصِرُّ على أن عليًّا كان جليس داره، منطويًا على نفسه، يشعر بالأسى والحسرة على نزع الخلافة منه، ولا يشعر بأي مسؤولية تجاه واقع الأمة، فهو غافل عن أن هذا لا يتناسب مع فكر الإمام علي ونهجه

(١) سورة الإسراء: الآية٩٣.

وتوجيهاته عليه السلام ولا يتفق مع ما سجله التاريخ عن دوره ومواقفه في تلك المرحلة.

لقد كان الإمام علي عليه السلام يقول للناس: « اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وبِلادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ »[(١)]، إن الخلافة ـ عند الإمام علي عليه السلام ـ لم تكن قضية أساس، بحيث يجمّد حياته إن لم يحصل عليها، لأن التطلع للمناصب يمكن أن يخالج نفوسنا نحن، فإذا لم نحصل على ذلك المنصب أو الموقع نشعر وكأننا فقدنا دورنا في هذه الحياة، لذلك تجد بعضنا ينكفئ على نفسه، ويشعر بالأسى لفقدانه منصبًا كان يتطلع إليه، أو موقعًا كان يحتلّه، لكن علي بن أبي طالب لم يكن هكذا، لأن الخلافة لم تكن في يوم من الأيام غاية مطمحه. يقول عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ وهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: «مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟» فَقُلْتُ: «لا قِيمَةَ لَهَا»، فَقَالَ عليه السلام: «واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً»[(٢)].

إننا عندما نعرف نظرة الإمام علي عليه السلام لقيمة هذه المناصب، لا يمكننا أن نحصر حياته بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وتسلّمه الخلافة بأنها عبارة عن حياة عزلة وألم، ولكن لأن بعض الأجيال كانت تعيش الانطواء والانكفاء، حاولوا أن يبرِّروا لأنفسهم ما كانوا يعيشونه من حال، ولكن الحقيقة عندما ندرسها بموضوعيه نجد أن علي بن أبي طالب لم يتخلَّ عن وظيفته الرسالية يومًا واحدًا، بل كان يتحمل المسؤولية دوماً تجاه الرسالة والأمة.

وفي هذه النقطة علينا أن نكون منصفين بحق واقعنا وتاريخنا، ذلك أن

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، ط٣، ١٤١٦هـ، خطبة ١٦٦.
(٢) نهج البلاغة: خطبة رقم ٣٣.

الشيعة في حقب تاريخية عديدة مورست عليهم ضغوط كثيرة، أجبرت الكثير منهم على الانعزال والانكفاء، وربما تكون هذه الحالة الاجتماعية التي وصلوا إليها بفعل بعض الظروف التي كان لها دور في تبرير واقعهم، وعدم انفتاحهم على بقية أوساط المسلمين، ولذلك قد تجد كثيرًا من هذه الطروحات والخطابات تركّز على جانب المأساة في حياة الإمام علي عليه السلام، وباقي الأئمة عليهم السلام انسجامًا مع الحالة العامّة التي كان يعيشها غالب الشيعة.

إن القراءة التقليدية لحياة الإمـام علي عليه السلام تحصر دوره بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في الجانب المأساوي، وتركز على دوره في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وحين استلامه الخلافة فقط، وهذه القراءة لا تعطينا صورة واقعية عن الدور الذي مارسه الإمام، وبخاصّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

إن الدور الذي قام به الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هو من أهمَّ تجليات إخلاصه لمصلحة الدين والأمـة، وسمو نفسه عن تأثير العواطف والمصالح الشخصية الذاتية.

لقد حفظ الإمام وحدة الأمة في ذلك الظرف الخطير، ورعى مصلحة الكيان الإسلامي الذي كان بحاجة إلى آرائه الصائبة، ومعرفته العميقة بمفاهيم الدين وتطبيقات أحكامه.

مفهوم الوحدة

إن مفهوم الوحدة قد يلتبس في أذهان بعض الناس، وكأن الوحدة إلغاء لخصوصيات طرف لحساب طرف، أو ذوبان جهة في أخرى، أو أنها تعني تنازل هذه الفئة عن شيء من قناعاتها من أجل الفئة الأخرى. وهذا الفهم الخطأ للوحدة هو الذي جعلها سرابًا لا يمكن تحقيقه في واقع

المسلمين؛ لأن البعض يتصور الوحدة تطابقًا تامًّا على كل تفاصيل العقيدة والتشريع، وفي الآراء والتوجهات، وهذا يخالف طبيعة البشر، فما دامت لهم آراء ومصالح متعدّدة فالاختلاف وارد حتى ضمن العائلة الواحدة والمجتمع الواحد.

إننا حينما نربط بين الوحدة وبين التوافق والاتفاق على كل شيء، فإننا بذلك نبحث عن سراب الوحدة التي لا تتحقق، أما حينما ننظر إلى الوحدة على أساس التمحور حول القواسم المشتركة، والمصالح العامة، والانضواء تحت إطار يستوعب الجميع، ويحترم حقوق الجميع، ويعطي مجال التعبير عن الرأي، فإن هذه الوحدة يمكن أن تتحقق.

وقد حققتها الشعوب الأخرى، فها هم الأمريكيون والأوربيون واليابانيون والماليزيون والهنود والأمم الأخرى، قد حققوا درجات متقدمة من الوحدة، من دون أن يلغوا خصوصيات بعضهم بعضًا، أو أن يكون هناك حيف أو جور من جهة على أخرى، أو وصاية من طرف على آخر. وهذا هو الأمر الطبيعي الذي ينبغي أن يكون، ونحن عندما نتحدث عن الوحدة نتحدث عنها بهذا المفهوم.

وحينما نقرأ سيرة الإمام علي عليه السلام بعد رحيل الرسول ﷺ نرى أن الخلاف قد حصل حول تسلم موقع الخلافة وقيادة الأمة، وكان الإمام يرى نفسه صاحب هذا الحق، وأنه الأولى بهذا الموقع، لكنه لم يجعل ذلك سبباً للصراع والصدام، بل احتفظ برأيه، دون قطيعة مع مخالفيه، ولم يبخل عليهم بنصيحته، ولم يتوان عن بذل جهده في خدمة الدولة والأمة.

هذا الموقف الرسالي للإمام علي لم يستوعبه البعض من السنة والشيعة، حيث فسّر فريق بيعة الإمام علي للخلفاء وتعاونه معهم بأنه دلالة على تخلي

الإمام علي عن رأيه في أحقيته بالخلافة، بينما أنكر الفريق الآخر أي علاقة ايجابية بين الإمام علي والخلفاء، وكلا الرأيين يفتقد الموضوعية والإنصاف، فالإمام علي مع احتفاظه برأيه، إلا أنه قدم المصلحة العامة للأمة، بالحفاظ على وحدتها وتسديد مواقف زعامتها.

مسارات الوحدة

واستلهاماً من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، واقتباساً من رؤيته الواعية، يمكننا أن نفصل الحديث عن الوحدة في ثلاثة مسارات:

الأول:الوحدة الاجتماعية

نحن كمجتمع نعيش في منطقة واحدة، ضمن إطار مدرسه أهل البيت عليهم السلام، نمثل حالة اجتماعية، تجمعنا ثقافة واحدة متقاربة، ونعيش همومًا وطموحات واحـدة، وننتمي لهوية دينية واحـدة، ولحفظ هذه الهوية ووصولاً إلى تنمية مجتمعاتنا وتطويرها، يجب أن يكون هناك تعاون بين قوى هذا المجتمع وفعالياته، وهذا لا يعني التوافق في جميع الآراء والأفكار، كما يصور ذلك بعضنا، فيفهم أن لازم ذلك أن يقلّد أبناء المجتمع مرجعًا واحدًا -مثلا-، وكأن الدعوة إلى الوحدة ضدّ واقع تعدد المراجع، أو أن تكون ممارساتنا لبعض الشعائر واحـدة، وعلى نمط وأسلوب واحد، فتكون الوحدة وكأنها دعوة إلى مخالفة الطبيعة الإنسانية، نحن حينما ندعو إلى الوحدة الاجتماعية، إنما ندعو إلى توحيد المواقف العامّة فيما من شأنه أن يؤثّر على المجتمع ككل، مع احترام حرية الرأي، لأن تعدد الآراء والتوجهات أمر طبيعي، وحالة صحّية في أي مجتمع، فهو يعبّر عن حالة من الثراء وحرية الرأي والفكر.

وفي مقابل هذا التعدد في الآراء والأفكار هناك مصالح مشتركه تجمعنا، وسقف واحد يظلنا جميعًا، وهذا ما يجب أن نبحث عنه وأن نجتمع عليه.

وقد بدأ مجتمعنا ـ بحمد الله ـ تجاوز الكثير من الإشكالات التي كانت موجودة في بعض الأوقات، فكان اختلاف المدارس الفقهية والفكرية داخل المجتمع الشيعي الواحد سببًا للنزاع في بعض الأحيان، وللقطيعة في أحيان أخرى، فيما بين: الأصولي والإخباري والشيخي، ولكن حالياً ما عاد هذا التنوع في المدارس سببًا للنزاع أو الاختلاف، إلا ضمن رواسب وبقايا قليلة غير مؤثّرة.

وفي وقت من الأوقات كانت هناك صراعات مرجعية، فجماعة تتعصَّب لمرجع، وأخرى لمرجع آخر، ولا تُجَِّوز تقليد مرجع الجماعة الأخرى، لتأتي فتوى من هنا تؤيّد مرجعًا، ويقابلها فتوى ضد ذلك المرجع، في حالة من الصراع والاحتراب الكلامي الاجتماعي

كما أنه في بعض المراحل كان هناك تباين واضح في التوجهات والآراء السياسية، أدّى في بعض أشكاله إلى نوع من الصراع والنزاع بين أتباع كل توجّه، ولكننا الآن نعيش تقاربًا في التوجهات السياسية، ولم يعد هناك تباين كبير، ولم يبقَ منها إلا حالة التنافس الطبيعي بين التوجهات والتيارات والأشخاص، وهذه حالة طبيعية، ما دامت محكومة بالأخلاقيات، فما حدث خلال عملية الانتخابات البلدية في المنطقة سنة ١٤٢٦هـ من تنافس بين مرشح وآخر، أو بين قائمة وأخرى هو حالة طبيعية تحصل في كل المجتمعات.

وما دمنا قد تخلّصنا من النزاعات على أساس الانتماء المدرسي (أصولي وإخباري وشيخي)، وكذلك على أساس الانتماء المرجعي، ولم تبقَ عندنا

نزاعات حادّة على أساس تباين الآراء والتوجهات السياسية، فهذه مرحلة متقدمة في سبيل تحقيق الوحدة الاجتماعية، إذ لم يبقَ أمامنا إلا موضوع التنافس بين التيارات والمجموعات أو بين الأشخاص، وهذا أمر مشروع لا يمكن ـ ولا ينبغي ـ إلغاؤه.

هنا علينا أن نذكّر بأهمية أخلاقيات التنافس، وأن نرشِّد هذه الحالة من التنافس، فلا يكون فيها إسقاط أو تعدٍّ على الآخرين ليبقى التنافس في إطاره وموضوعه.

وفي مسألة الوحدة الاجتماعية ينبغي الإشارة إلى ثلاث نقاط، هي:

(١) سعة الصدر في اختلاف الرأي

علينا أن تتسع صدورنا للاختلافات الجانبية، فالتطابق في الآراء ليس مطلوبًا، بل علينا أن نقبل الرأي والرأي الآخر؛ لأن بعضنا ينزعج من مسألة الاختلاف، حتى في بعض المسائل الفرعية، كثبوت هلال الشهر في هذا اليوم أو سواه، أو توقيت هذه المناسبة الدينية في هذه الليلة أو سواها، وصحيح أن اتفاق الرأي فيها يحفظ مظاهر الوحدة الاجتماعية، لكن هذا الاتفاق لا يمكن أن يكون قسرياً مع اختلاف القناعات، في موضوع يرتبط بجانب عبادي كالصوم مثلاً، فليعمل كل بما يراه تكليفه الشرعي، والاختلاف في مثل هذه الأمور يجب أن تتسع له صدورنا، وأن لا يتضخم في نفوسنا، ولكن ما يؤسف له أن بعضنا لا يزال يعيش ضيقًا في الأفق، فيقضي أوقاته يتحدّث عن تلك الجماعة التي فطرت هذا اليوم وتلك التي صامت .. ينبغي أن نتجاوز هذه الحالة، نحن ضدّ من يمارسون في مجتمعنا دور الوصاية على الآخرين، فإما أن يُؤخذ برأيهم وطريقتهم وإلا فإنهم يكيلون التهم ويخرجون من يخالفهم من الدين والمذهب.

إننا في الوقت الذي نستنكر على الآخرين أن يمارسوا الوصاية علينا، كيف نقبل أن نمارس الوصاية على بعضنا بعضًا؟! إننا يجب أن نكرِّس حالة التنافس الإيجابي، وألاَّ نسمح لأي جهة من الجهات أن تدعي لنفسها أنها ـ وحدها ـ تمثل الدين والشرعية والوصاية، فلا أحد يحتكر الشرعية، فهذه الجهة عندها رأي والجهة الأخرى لها رأيها المخالف، ولا أحد يستطيع ادعاء أنه يمثّل الأصل فيما غيره فروع، أو أنه يمثّل الدين الحق وغيره خارج عن الدين، لقد تجاوزنا عقلية الوصاية، وانتهت هذه الممارسات، وهذا النوع من التعامل مع الآخرين، فالجمهور الآن يعي دوره ويثق بنفسه، ولذلك علينا أن نكرس هذه الحالة، وأن تتسع صدورنا لبعض الاختلافات الداخلية، وألا تتضخم في نفوسنا، وألا نسمح للبعض أن يصنع منها قضية يفرق بها بين الناس.

(٢) نشر ثقافة التسامح

يتحمّل قادة المجتمع ونخبه مسؤولية كبيرة في نشر ثقافة التسامح الداخلي بين التيارات والتوجهات المختلفة، ووضع حد لحالات التعبئة والتعبئة المضادّة، لأننا في هذه المرحلة علينا أن نؤكد على ما يجمعنا كأتباع لأهل البيت ﻊ، ومنتمين إلى خطهم ومدرستهم، وراجين لشفاعتهم، وأن يجمعنا الله تعالى يوم القيامة معهم.

وفي هذه النقطة ترد رواية جميلة عن الإمام الصادق ﻉ يخاطب فيها بعض أصحابه، فيقول: «ما أنتم والبراءة يَبْرَأُ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض،

وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات»[1].

إن تفاوت الآراء ودرجات الإيمان ومستويات التفكير لا يعني القطيعة، ولا المبالغة في مسألة المعاتبة، علينا أن نرفض ثقافة التعبئة الداخلية، وأن نقف أمام من يروّج لها، وعلى الجمهور أن يصل إلى الدرجة التي يقف فيها أمام أي جهة دينية أو اجتماعية تمارس هذه الأساليب الملتوية.

(٣) الالتفاف حول المؤسسات

نحن الآن نعيش في عصر نحتاج فيه إلى الأعمال المؤسساتية، التي تقوم على بناء المجتمع ثقافيًّا ودينيًّا واجتماعيًّا، وهي ما تسمّى «مؤسسات المجتمع المدني»، وذلك من قبيل: الجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية، وصناديق الزواج الخيري، وكافل اليتيم، ومهرجان الزواج الجماعي، ومراكز تعليم القران، والمنتديات، بل علينا أن نحوّل جميع أنشطتنا إلى مؤسسات.

فالمسجد يجب أن تديره إدارة جماعية مرضية من أهالي الحي، وبخاصّة أننا نرى بعض الأحياء قد شكّلت لها مجلسًا للحي منتخباً من قبل أبناء الحيّ، ونتمنى أن يتبنّى كل حيّ ومنطقة هذه الفكرة الايجابية، فهذه الحالة المؤسساتية هي التي تساعدنا على التلاحم والتعاون على حفظ وحدتنا وخدمة مجتمعنا.

وتجربة مجالس الأحياء تجربة جديدة رائدة، ومن المفيد أن يطبّق فيها مسألة التنافس الإيجابي على أساس الكفاءة والفاعلية.

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦٦، ص١٦٨، ط٣، ١٩٨٣، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

وهذا أمر يسري إلى جميع مؤسساتنا الاجتماعية، حيث من المفترض أن تعمّها حالة من تجديد الإدارات والمسؤولين، ويجب أن يختار المرشّح الأكفأ، والأكثر فاعلية ونشاطاً، فيطبّق هذا في الجمعيات الخيرية، والنادي الرياضي، والانتخابات البلدية، وانتخابات غرفة التجارة وغيرها.

وفيما يخص إمام الجماعة، فمن الناحية العملية يقوم كل فرد منّا بالذهاب إلى إمام المسجد الذي يرغب في الصلاة خلفه، فيصلي خلف مَنْ يثق بتقواه وورعه ويشعر أنه يستفيد من توجيهاته، بغض النظر من أيِّ منطقة كان، وأيِّ مرجع يقلد، وإلى أيِّ عائلة ينتمي، فيكون المقياس عنده هو مقياس الكفاءة، وهذا هو المقياس الذي ينمي ويطور المتجمع.

هذه النقاط الثلاث هي التي تساعدنا على حفظ وحدتنا الاجتماعية.

الثاني: الوحدة الوطنية

الوحدة الوطنية موضوع حسَّاس خطير، وبخاصة في هذا الوقت الذي تمرُّ به الأمة الإسلامية، وما يتهددها من أخطار تَمَسُّ وحدة أوطانها وبلدانها، ذلك لأن الإدارة الأمريكية ترفع شعار الفوضى الخلاقة في منطقة الشرق الأوسط، فهم يريدون أن يقسموا المقسم وأن يجزئوا المجزأ، ولذلك نرى ما يحصل في العراق، لتعزيز هذه الفوضى الخلاّقة التي يراد نشرها في عموم المنطقة.

وفي فلسطين التي يجثم عليها الاحتلال الصهيوني، ويعاني الشعب الفلسطيني الآلام والويلات، في كل يوم قصف وتدمير لمنازل واغتيال لقيادات وآلام وسجون، ومع ذلك هناك تشجيع واضح من قبل الأمريكيين والإسرائيليين وحلفائهم للاحتراب الداخلي بين الفلسطينيين، والوضع ينذر بالخطر، نسأل الله أن يوفق الفلسطينيين وأن يساعدهم

لتجاوز هذه المحنة. كما أن الدور الأمريكي في لبنان لمنع التوافق بين اللبنانيين ليس خفياً على أحد.

وهكذا ما يجري في الصومال ودارفور في السودان، ولا أريد هنا أن أُحَمِّل الخارج كل المسؤولية، فلولا الأرضية الخصبة، والثغرات في داخلنا، ولولا نقاط الضعف، لما وجد الأعداء فرصة لتشجيع الفرقة والفتنة في أوساطنا، ولذلك علينا أن نكون حذرين وواعين جيدًا، لأنه كلما حصل هناك تهديد للمصالح الأجنبية أثيرت الفتنة الطائفية من جديد، فعندما سقط شاه إيران الذي كان يحمي المصالح الغربية والأمريكية في المنطقة، واجهت المنطقة ضخًّا للتعبئة الطائفية، وتأجيجاً للفتنة المذهبية، وعندما حصل انتصار للمقاومة وحزب الله في لبنان صدرت فتاوى وحصل ضخ جديد لهذه الفتنة المذهبية.

هذا دليل على أن هناك من يستفيد ومن يدعم، ولكن في الأصل هناك أرضية وثغرات ونقاط ضعف علينا أن نعالجها، وإلاَّ فإن الأعداء سيستثمرونها لزرع الفتن بيننا، من هنا يجب أن نكون حريصين في تأكيد مسألة الوحدة الوطنية داخل بلداننا، فبلادنا مستهدفة، وهناك ثغرات يمكن أن ينفذ منها الأعداء، فلا بد من تصليب الوحدة الوطنية، بتعميق وتطبيق مفهوم المواطنة، ليعيش الناس متساوين في حقوقهم وواجباتهم، وألاَّ نسمح ـ على مستوى الوطن ـ بثقافة الكراهية والتحريض من هذه الفئة على فئة أخرى، ومن هذه الجهة على جهة مقابلة.

والخطاب ليس موجهًا إلى فئة دون أخرى، فمنابرنا الدينية في مساجدنا وحسينياتنا، وكذلك وسائل الإعلام والخطب في المساجد، والفتاوى يجب

أن يكون هناك حذر من أن تكون هذه الوسائل أداة لخدمة مشاريع الفتنة التي تريد إشغال المسلمين وإرباك ساحتهم.

ونحن عندما نركّز على مسألة الوحدة فذلك لأن الفتنة إذا وقعت في مجتمع فإنها لا تبقي ولا تذر، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

وفي مسألة الوحدة الوطنية يجب التركيز على نقطة مهمّة، ذلك أن كل بلد من بلدان العالم تتنوّع فيه الانتماءات والمذاهب، ومن الطبيعي أن تمارس كل مجموعة من هذه المجاميع شعائرها وممارساتها الخاصّة، ولا يمكن عدّ ممارسة الخصوصيات لأيّ طائفة من الطوائف حالة طائفية، ما دام يحافظ على خصوصيته دون المس بالآخرين، ومن غير المقبول أن نمنع الناس من ممارسة خصوصياتهم وشعائرهم المذهبية، بحجة الحفاظ على الوحدة، فالوحدة لا تعني إلغاء الخصوصيات. والمطالبة بالحقوق ليس إثارة للطائفية، ولكن ينبغي أن تكون المطالبة من خلال النهج الوطني الذي يحفظ الوحدة، فمساحة التعبير عن الرأي، والمطالبة بالحقوق، وعرض المشاكل في وسائل الإعلام، وعبر القنوات الرسمية، ومختلف السبل. ضمن سقف الوحدة الوطنية أمر مطلوب، ولا يخالف مبدأ الوحدة، لأنّه لا يعدو عن كونه تعبيرًا عن الرأي، فالوحدة الوطنية لا تعني أن يكون هناك رأي واحد سائد ولا يحق للآخر أن يطرح رأيه.

الثالث: وحدة الأمة

الوحدة على صعيد الأمة إنما تكون بالتأكيد على المشتركات، وعلى

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

احترام حق الإسلام لمن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله »، فهو مسلم له حقوق الإسلام دون النظر لأي مذهب انتمى جاء في صحيح البخاري : (من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم)(١).

وهذا ما ورد في مقرراتُ بيان قمّة مكة الاستثنائية سنة١٤٢٦هـ، حيث أكدت التوصيات على الاعتراف بمختلف المذاهب الإسلامية، وأنهم مشمولون بعنوان الإسلام، فلا يجوز الاعتداء على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وهنا نعود لسيرة ومنهج الإمام علي عليه السلام لنتعرّف الأسلوب الصحيح والمتوازن في معالجة مسألة الخلاف الإسلامي الإسلامي، ذلك أن الخلاف بين أهم فريقين من المسلمين (وهما الشيعة والسنة) ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ففي حين يذهب الشيعة إلى حق الإمام علي عليه السلام في الخلافة، وذلك لأفضليته عندهم، ولكثرة النصوص الواردة لدى الفريقين التي يفهم منها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام تأكيدها على حق الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بينما يرى بقية المسلمين أنها مجرد إشادة بفضله، وتذكير بمقامه ومناقبه، لذلك فالاختلاف ينحصر في تفسير النصوص، وإلا فهي نصوص متفق على أكثرها، كحديث الغدير، وحديث الثقلين، والأحاديث الأخرى التي لسنا الآن في وارد ذكرها والتفصيل فيها.

والإمام علي عليه السلامعاش تلك المرحلة الحسَّاسة، ولذلك علينا أن نتلمّس

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١، ص١٠٣، ح ٣٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

طريقة الإمام علي (عليه السلام) في تعامله مع مخالفيه حينها.

أمير المؤمنين (عليه السلام) كان رجل الوحدة ورائدها، ففي الوقت الذي يرى نفسه صاحب الحق في الخلافة والإمامة، كما عبّر عن ذلك فيما بعد في إحدى خطبه المروية عنه، والمعروفة بالخطبة الشقشقية، فقال (عليه السلام): «أَمَا واللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ»[١]، وقد كان بإمكانه أن ينبري للدفاع عمّا يعتقد أنه حق له، وكان يعلم أن في توليه الخلافة مصلحة للأمة والرسالة، ولكنه وجد أن هذا التصدي وهذا الموقف يضر بالمصلحة العامّة في ذلك الظرف، ولذلك لم يطالب بحقه، حتى عندما جاء إليه أبو سفيان وصار يهتف: «إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان ؟ أين الأَذَلَّانِ علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟ ثم قال لعلي : أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً فزجره علي وقال : «والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك»[٢]، فلم يستجب له، ولم يرحب به، ولم يقع في الفخ الذي كان يريده له أعداء الأمة، وإنما أعلن: «وَاللهِ لأسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ»[٣].

لقد امتنع الإمام علي عن بيعة أبي بكر أياماً أو شهوراً، كما ذكرت المصادر التاريخية، لكنه حين رأى جديّة خطر الردة عن الإسلام، وإمكانية

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ٣.

(٢) ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠، ط١، ١٤٠٨هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

(٣) نهج البلاغة: خطبة رقم ٧٣.

تعرض كيان الأمة للاهتزاز، بحصول أي خلاف وتنازع، انضوى تحت راية الخلافة، كما يقول عليه السلام فيما روي عنه: (فَمَا رَاعَنِي إِلا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلامَ وأَهْلَهُ، أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمْ)[1].

إن علي بن أبي طالب تحمل مسؤوليته، فكان مع الخلفاء ومع الأمة، يحضر المسجد، ويشارك في صلاة الجماعة، يُسْتَشَار، ويشير فيعطي رأيه، وينقذ الأمة، ويساعد الخلفاء في مواقف كثيرة.

فهناك أكثر من تسعين موردًا في قضايا عسكرية واقتصادية وسياسية ودينية استشار فيها الخليفة عمر الإمام علياً وأخذ برأيه، سجلها مع ذكر مصادرها الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء)[2].

ولذلك نتساءل: كيف كان يستشير عليَّ بن أبي طالب إن لم يكن يثق بعلي ويطمئن إلى رأيه؟ علي عليه السلام ما كان ينظر إلى الخلفاء كأعداء يكيد لهم ويسعى للانتقام منهم، وهم في المقابل كانوا ينظرون لعليٍّ كمعين ومساعد فيما هو لمصلحة الأمة والدين، وإلا لو كان عمر وأبو بكر ينظران لعليٍّ كعدو لما رجعا إليه ووثقا برأيه، والإمام علي ـ في المقابل ـ ما كان يتعامل من موقع العداوة الشخصية، وإنما كان يمحضهم النصيحة ويشير عليهم بما ينفع الأمة وكيان المسلمين آنذاك، حتى أُثِرَ عن الخليفة عمر أنه كان

(١) نهج البلاغة: كتاب رقم ٦٢.

(٢) العسكري: نجم الدين، علي والخلفاء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ.

يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن علي[١]، وعن يحيى بن عقيل – كما في ذخائر العقبى[٢] –: قال كان عمر يقول لعلي إذا سأله ففرج عنه، لا أبقاني الله بعدك يا علي. وعن أبي سعيد الخدري، أنه سمع عمر يقول لعليٍّ وقد سأله عن شيء فأجابه : أعوذ بالله أن أعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن، وروى – أيضاً – عن عمر قوله: «لولا علي لهلك عمر»[٣]، ودعاؤه أيضاً «اللهم لا تنزل بي شدة إلاَّ وأبو الحسن إلى جنبي »[٤]، ونصوص كثيرة في كتب التاريخ وكتب الفريقين.

ومع أن الإمام عليه السلام أبدى عدم رضاه عن بعض السياسات في عهد الخليفة عثمان، وبخاصة دور البطانة التي كانت حول الخليفة، إلاَّ أنه ما انفك يقدم النصيحة والرأي لعثمان، وحاول كثيرًا أن يعالج موضوع التمرد على الخليفة، فكان واسطة وسفيرًا بين المعارضين والخليفة أكثر من مرة، ولكن الأمر خرج من يده، وحينما حوصر عثمان ومُنِع عنه الماء استنجد بعليٍّ، فبعث الإمام ولديه الحسنين بِقِرَب الماء حتى يدخلوها إلى بيت عثمان[٥].

وفي نصوص تاريخية مذكورة في مختلف كتب السنة والشيعة أمر ولديه الحسنين أن يبقيا على باب عثمان حراسةً له[٦]، ولكن المعارضين تسلقوا

(١) المتقي الهندي:كنز العمال ج١٠، ص٣٠٠، ح٢٩٥٠٩.

(٢) الطبري: أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ١٥٠، ط١، ١٤١٥هـ، مكتبة الصحابة، جدة.

(٣) نفس المصدر ص ١٤٩.

(٤) نفس المصدر ص ١٤٩.

(٥) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ، ص ٤١٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٦) ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج١، ص٤٢، مؤسسة الحلبي وشركاه.

من بيوت الجيران على دار الخليفة.

هكذا كان علي بن أبي طالب ، وهذا ما يجب أن يكون عليه نهج محبيه وأتباعه، فإلى آخر لحظة من لحظات حياته كان يهتم بوحدة الأمة، فقد كان يعلم أن قاتله الشقي ابن ملجم ينتمي إلى الخوارج، ويعرف أنهم من دفعوه إلى ارتكاب هذه الجريمة، لكنه ما أراد لمقتله أن يكون سببًا جديدًا لمشكلة في واقع الأمة، ولذلك قال في وصيته: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلا لا تَقْتُلُنَّ بِي إِلا قَاتِلِي، انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ولا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ»[١].

إن سيرة علي تؤكد إخلاصه العميق للدين، وحرصه الشديد على وحدة الأمة، فهو يتعبد إلى الله تعالى بالحفاظ على الوحدة، ويتمسك بها كطريق إلى ثواب الله ورضوانه، فالوحدة مبدأ ديني، وفريضة شرعية، قبل أن تكون قضية سياسية أو مصلحة وقتية، وصدق أمير المؤمنين حينما قال: (ولَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وكَرَمَ الْمَآبِ، وسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي)[٢].■

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ٤٧.

(٢) نهج البلاغة: كتاب رقم ٧٨.



الشيخ الصفار:
ليس لأي جهة فرض الوصاية على المجتمع[1]

قال الشيخ حسن الصفار بأن زمن الوصاية على آراء الناس انتهى، ولا حق لأي طرف قسر المجتمع على توجهاته ولا بد أن تتسع الصدور لاستيعاب حالة التعددية.

جاء ذلك في محاضرة عامة ألقاها مساء الأربعاء في ساحة الشويكة بالقطيف في ذكرى استشهاد الإمام علي .

وأضاف الصفار بأن الجيل المعاصر ملزم بالاجتهاد في قراءة الإمام علي وفقاً لظروف العصر دون الاقتصار على قراءة الأجيال الماضية.

---

(١) تقرير خبري عن المحاضرة نشرته مواقع الانترنت بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.
- موقع الشيخ الصفار www.saffar.org.
- موقع شبكة راصد الإخبارية www.rasid.com.
- موقع شبكة فكرة الثقافية www.fikrah.net.

وأضاف إذا كان هناك من ارتضى لنفسه في السابق أن يقرأ علياً من زاوية الإعجاز المطلق لتلك الشخصية أو من زاوية المأساة المجردة فإن قراءة كتلك جاءت نتاج جيل منكفئ ومنطوٍ على ذاته وهي لا تتناسب مطلقا مع نهج وفكر علي ورؤيته.

المحاضرة التي جاءت بعنوان «وحدة الأمة» لم تخلُ من مضامين لافتة حول الوحدة الإسلامية التي يرى الشيخ الصفار بأنها لا تعني أبداً إلغاء الخصوصيات السياسية أو المذهبية لأي من الأطراف.

وأضاف بأن الوحدة تعني فيما تعني التمحور حول القواسم المشتركة والمصالح العامة للأمة في الوقت الذي يتاح فيه للجميع التعبير عن ذواتهم دون وصاية من طرف على آخر أيًّا كان.

ورأى الصفار أن هناك ثلاثة مسارات للوحدة، أولها الوحدة الاجتماعية، والثاني الوحدة الوطنية، والثالث وحدة الأمة.

وأضاف بأن الوحدة الاجتماعية لا تعني بأي حال توحد الجميع على نهج واحد وفكر واحد وتيار واحد فذلك خلاف الطبيعة البشرية ولقد انتهى زمن الوصاية على آراء الناس في مجتمعنا.

وأشار إلى أن من المهم بهذا الصدد إيقاف التعبئة ونشر حالة التسامح بدلاً عنها إلى جانب الالتفاف حول المؤسسات الاجتماعية واعتبار الكفاءة هي الأساس لا المحسوبيات والميول الشخصية.

أما على صعيد الوحدة الوطنية فرأى بأن الأمة مستهدفة من قوى خارجية فلا بد من سد الثغرات الداخلية بإعطاء الحقوق للجميع وايقاف حالات التعبئة والقضاء على الفتن.

وأضاف لا يجوز منع الناس من ممارسة حرياتهم الدينية بدعوى محاربة

الطائفية ولم تكن حرية التعبير ضد الوحدة الوطنية في يوم من الأيام.

أما على صعيد الأمة فرأى الصفار أن كل من شهد الشهادتين فهو معصوم الدم والعرض والمال كما في المأثور مذكراً بتوصيات مؤتمر مكة الاستثنائي الذي اعترف بالمذاهب الاسلامية الثمانية.

وطالب الصفار بهذا الصدد بالاقتداء بإلامام علي فهو في الوقت الذي لم يتنازل عن حقه في يوم من الأيام إلا أنه اجتهد بشدة في صون الأمة من الفرقة.

مضيفاً لم يكن عليٌّ جليس الدار كما يراه بعضنا، بل عمل بفاعلية وبالتوازي مع الخلفاء في إسداء المشورة ومحض النصيحة حتى باتت كلمة «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن» أشهر من تعرّف.

يذكر بأن المحاضرة تأتي ضمن برنامج «علي والأمة» الذي تشرف عليه لجنة الإمام الحسن بالشويكة ويستمر على مدى الليلتين المقبلتين.■


الإمام علي رائد الإصلاح



تتعدَّد أنماط قراءة الشخصيات التي أخذت مساحة واسعة من تفكير الأجيال المعاصرة واللاحقة لحياتهم بما ورَّثوه من نظريات ومبادئ أو خروج منطوق تلك النظريات إلى حيِّز التطبيق العملي.

ولأننا نعيش ذكرى أحد عظماء الإنسانية وعمالقتها في الفكر والسلوك، ألا وهو رائد الإصلاح، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الرائد الذي قرأه كثير من أصحاب الفكر والمعرفة، فغالى بعضٌ واستخفَّ آخر، كما توقع هو (عليه السلام) حين قال: (هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قَالٍ)[1].

ولكي لا نكون أحد النمطين، نحاول أن نقرأ الإمام عليًّا (عليه السلام) قراءة تقوِّم ما اعوجَّ من سلوك في واقعنا المعاصر، متجاوزين بذلك القراءة التقليدية التي تشغلنا بهموم التاريخ الماضي، ومشاكله وأحداثه، نحن بحاجة لكي نقرأ تاريخ الإسلام، وتاريخ أئمته، قراءة جديدة تساعدنا على معالجة قضايانا، وترفع من مستوى أوضاعنا المترديَّة، ولسنا بحاجة إلى قراءة ترفع من وتيرة البغض والكراهية بيننا، بالانغماس في مشكلات

---

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، حكمة رقم ١١٣، تحقيق مؤسسة نهج البلاغة ط٣، ١٤١٦هـ.

الماضي وأحداثه، إلا بمقدار ما ينفعنا من دروس وعِبَر، لذلك نبسط الحديث عن سيرة الإمام علي عليه السلام في الإصلاح.

فلسفة الإصلاح:

تحتاج المجتمعات البشرية إلى مراجعة دائمة، وإلى تفحُّص مستمر لواقعها وأوضاعها، من أجل معالجة نقاط الخلل والنقص، لأن كل مجتمع بشري لا يخلو من نقاط ضعف تحتاج إلى تقوية، أو ثغرات تحتاج إلى سدٍّ، كي يصل ذلك المجتمع إلى مصافِّ المجتمعات المتحضِّرة.

إن الخلل الذي لا يسلم منه أيُّ مجتمع بشري، له أسباب عدَّة، نسرد منها ثلاثة أسباب:

١/ وجود الخطأ:

فلا أحد يستطيع ادعاء العصمة والكمال إلا المعصومون الذين عصمهم الله، أما المجتمعات، والقيادات، والفئات، فوارد أن تقع في الخطأ، فـ: (كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطّاءين التوابون) كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم [١].

فقد تتخذ أمة من الأمم مسارًا خطأً، وقد تسلك قيادة من القيادات نهجًا غير صحيح، وقد يبدي عالم من العلماء أو مجموعة من العلماء آراء وأفكاراً بعيدة عن الصواب، هذا أمر وارد، لا أحد يستطيع أن ينفيه، ومادام هذا الخطأ واردًا في حياة المجتمعات، فعلى المجتمع في كل مرحلة، وفي كل وقت، أنْ يتفحَّص ثم يسأل: أليس هناك خطأ في توجُّهاتنا؟ أليس هناك خطأ في آرائنا؟

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٤، ح ٧٦١٧/ ١٧، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ، بيروت.

٢/ وجود الانحراف:

لا يختلف اثنان على أن الناس في المجتمعات البشرية ليسوا ملائكة، وليسوا أطهارًا لا يحصل منهم الانحراف، فقد يحصل الانحراف من المواقع المتقدمة في الأمة، أو لدى عامة الناس، أو من قبل الجهات الوسيطة بين قيادات الأمة وجمهورها.

هذا الانحراف، سواء كان مقصودًا أو غير مقصود، فهو قد يحصل في طرح الآراء، وفي تطبيق البرامج والخطط، فعلى المجتمع أن يتأكد من صحة مسيرته وعدم تعرضها للانحراف. يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

٣/ طبيعة الصيرورة والتطور:

قد يكون الرأي صوابًا، والاتجاه صحيحًا، ضمن زمن معيَّن، وواقع معيَّن، وحينما تتغير الأوضاع، وتتطور الحياة، فإن ذلك القرار قد يحتاج إلى تغيير وتطوير، فإذا لم تحصل متابعة في التغيير والتطوير يحدث هناك خلل، وهذا الخلل ليس ناتجًا من الرأي ذاته، وليس من وجود انحراف، وإنما هو ناتج من عدم المواكبة للتطورات. ولهذا فإن المجتمعات المتحضِّرة والمتقدِّمة تدرك الحاجة إلى المراجعة الدائمة والتغيير والإصلاح، إذْ بنظرة عَجْلَى في كل دساتير تلك الدول، نجد في كلِّ دستور مادة تعالج إمكانية التغيير في مواد الدستور، رغم أن الدستور يُعَدُّ أقدس شيء في كل أمة من الأمم، لأن الدستور يوضع بعد دراسة وبحث واستفتاء شعبي، وترافقه إجراءات وضمانات عديدة، ولكن ـ لأن الظروف تتبدَّل، ولأن الخطأ وارد – يوجد

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

في كل دستور من دساتير دول العالم مادة تعالج كيفية التغيير والتبديل في الدستور.

هل أن البرلمان بأغلبيته يصوِّت على التغيير؟ أو أن الحاجة تستدعي الاستفتاء الشعبي على كل تغيير؟

إنَّ وجود مادة تعالج موضوع التغيير في الدستور، يحمل دلالة على الوعي بأهمية التطوير حتى في الدستور، وهو أثبت وأقدس شيء في كل أمة من الأمم.

من ناحية أخرى، تجد أن المجتمعات المتقدمة لديها مؤسسات تُعْنَى بمتابعة المراجعة والتغيير، برلماناتها، ومؤسساتها الدستورية، والسياسية، والعلمية، كلُّها مَعْنِية بالمتابعة والمراجعة، وهناك مراكز أبحاث ودراسات تدرس مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والأوضاع السياسية، وتقترح تغييرًا، أو معالجة، وتبرز نقاط الضعف فيها، وثالثاً هناك رصد للرأي العام، استبانات واستفتاءات.

ففي كل حدث أو منعطف، يكون هناك رصد للرأي العام في أداء الإدارة السياسية، وفي الأوضاع الاجتماعية.

هذه الروافد الثلاثة الموجودة في المجتمعات المتقدمة: المؤسسات الرسمية، ومراكز الدراسات والأبحاث، واستطلاعات الرأي العام، هي أُطُرٌ ومناهج تُعْنَى بالمراجعة من أجل التغيير والإصلاح.

صعوبة المراجعة والتطوير:

في مجتمعاتنا العربية والإسلامية نجد هذه الروافد قليلة محدودة، وفي

بعض جوانبها منعدمة، ولذلك لا تعيش مجتمعاتنا حالة المراجعة والتفحُّص والإصلاح الدائم.

المجتمعات الأخرى تنجز إصلاحًا وتطويرًا عند مراجعتها لأوضاعها، بينما في مجتمعاتنا تكون المراجعة أمرًا صعبًا، والتغيير والتطوير متعذرٌ في كثير من الأحيان، ولذلك تبقى الأوضــاع على ما فيها من أخطاء، وانحرافات، ومع ما فيها من تخلف عن مواكبة تطور الحياة والمجتمع، تبقى في حالة استرسال، واستصحاب، وكأننا نتمثل ما ينقل عن (جحا) عندما سئل ذات مرة: كم عمرك ؟

قال: أربعون سنة.

وبعد عشرين سنة سئل: كم عمرك؟

قال: أربعون سنة.

قيل له في ذلك.

قال: كلمة الرجل واحدة لا تتغير.

ما دمنا نسير على رأي معين ووضع معين فينبغي أن نستمر عليه ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1].

في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، المراجعة أمر صعب، في المجال السياسي والفكري، وفي العادات والتقاليد، بل حتى في بعض الآليات والوسائل الخارجية نجد التغيير صعبًا.

قرأت في جريدة المدينة ملحق الرسالة بتاريخ ٣٠ شوال ١٤٢٦هـ حديثًا لرئيس مجلس الشورى في المملكة الشيخ صالح بن حميد وهو إمام

(١) سورة الزخرف: الآية٢٣.

المسجد الحرام، كان يتحدث به في احتفال تكريمي أقيم في جامعة أم القرى لوالده الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد(١٣٢٩- ١٤٠٢هـ)، وحكى فيه كيف تمكن والده في السبعينيات الهجرية من كسب معركة بناء الجامع الكبير في بريدة بالاسمنت المسلح، بعد أن لقي معارضة شديدة من أهالي المدينة، الذين اعترضوا بشدة وطالبوه بأن يكون البناء بالطين وسعف النخيل، على ما درج عليه أجدادهم معتبرين ذلك معركة حياة أو موت.

هذا أنموذج لرفض التغيير والتطوير حتى في الوسائل والآليات، ومثل ذلك نجده في مختلف مجتمعاتنا، فالشيخ الدكتور أحمد الوائلي (١٣٤٧- ١٤٢٤هـ) يتحدث في كتابه (تجاربي مع المنبر) عن مشروع تبنَّاه هو وعدد من العلماء الواعين في النجف الأشرف للمساعدة في تطوير مستوى الخطابة والخطباء، واستأجروا مكاناً كمقر له تحت عنوان (منتدى النشر)، يقول: وتحرك أصحاب المصالح وفي طليعتهم مجموعة ممن يمتهن الخطابة، وانتشرت شائعات تقول: إن منتدى النشر يريد تغيير صورة الأمويين في أعين الناس، والقضاء على الشعائر الحسينية، وتزوير التاريخ، إلى آخر ما هنالك من افتراءات أدت إلى صدور تصريحات من الزعامات الدينية تدين منتدى النشر، وانتهى الأمر بالهجوم على المؤسسة المعدة للتدريس، وعلى منتدى النشر هي الأخرى، فكُسّرت الكراسي، وحُطّم ما في البنايات من أدوات، وهرب القائمون على العمل واختبأوا عن الأعين.

وكان أحد التصريحات من بعض المراكز الدينية أن الحسين عليه السلام قتل مرتين مرة يوم الطف وأخرى في حركة منتدى النشر[١].

(١) الوائلي: الدكتور أحمد، تجاربي مع المنبر، ص١٨٥، دار الزهراء، ط١، ١٩٩٨م، بيروت.

يبدو لي أن هناك سببين رئيسين لصعوبة المراجعة والتطوير في مجتمعاتنا:

١/ ثقافة الممانعة للتغيير، التي تقوم على أساس تقديس الواقع القائم، والتشبث به، إذ ليس في الإمكان أبدع مما كان، وتروّج هذه الثقافة لنظرية المؤامرة من قِبل الأعـداء، فمشكلات الأمة هي مؤامرات اليهود والنصارى، وخطط الاستكبار العالمي.

بالطبع، لا أحد ينفي أن للقوى الأجنبية مطامعها ومصالحها، وأنها تسعى للهيمنة علينا وعلى المستوى العالمي، لكن ضعفنا هو الذي يغريهم بنا، وثغرات واقعنا هي التي تمكن لهم النجاح في خططهم ومشاريعهم ضدنا.

نحن بحاجة إلى الإصلاح الديني، ثقافتنا الدينية تحتاج إلى إصلاح، الدين حق، لكن ما نفهمه من الدين يحتاج إلى مراجعة، فالكثير يخلط بين الدين في حقيقته وبين فهم الناس للدين، لا يدَّعي العلماء أنهم في آرائهم مصيبون قطعًا مئة في المئة، وإنما يقولون إنهم مجتهدون، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، ومعنى ذلك أن باب الاجتهاد يجب أن يكون مفتوحاً. لماذا يستعصى علينا التطوير والإصلاح في الكثير من الآراء والأفكار، حتى جزئيات المسائل نعدُّها من الضروريات وثوابت العقيدة والدين، ومن الصعوبة بمكان أن يُعاد النظر فيها؟

لفتَ نظري بحث كتبه أحد الفقهاء الكبار في النجف الأشرف، الشيخ محمد إسحاق الفياض، تحت عنوان (أحكام الاجتهاد) يشير فيه إلى أن صنف الأحكام الشرعية الذي يتمتع بطابع الضروري، ولا يوجد فيها خلاف بين الفقهاء والمجتهدين، لا تتجاوز نسبته إلى مجموع الأحكام

الشرعية عن ستة في المائة، بنسبة تقريبية. وما عداها أي بنسبة ٩٤٪ تقريباً من الأحكام الشرعية فهو من الأحكام التي يتمتع بطابع نظري يتوقف إثباته على عملية الاجتهاد والاستنباط، ويكون مورداً للبحث والخلاف بين الفقهاء والمجتهدين[١].

إذًا نحن بحاجة إلى الإصلاح الشامل على مختلف الصعد. ولكن العائق وجود هذه الثقافة التي تقدّس الواقع، ولا تعطي الفرصة لأي رأي، ولا لأي نقد في المجال الديني، وكأن أيَّ نقدٍ هو نقد للدين، فمما لا شك فيه أن النقد بضوابطه العلمية الموضوعية ليس نقدًا للدين، الدين قوي عميق لا يُخشى عليه، والنقد يقوِّي الدين، والمراجعة تُظهر عمق الدين، وتُظهر صلاحيته. ثمَّة من يعاني من الضعف في رأيه، وفي أدلته، فيخشى من إظهار ضعفه هو، وليس الدين، النقد يوصل لما هو أفضل في المجال الديني. وفي المجال السياسي أيضًا، يجب أن يكون هناك إصلاح يستهدف توسيع رقعة المشاركة الشعبية، ووضع الضمانات لاتخاذ القرارات الأصوب، ولوضع آليات التطبيق والتنفيذ بعيداً عن الفساد والمحسوبيات، وبوجود رقابة نظامية، وحرية سياسية إعلامية تمكنّ من فضح أي تلاعب أو فساد.

وهكذا الحال في المجال الاجتماعي، لا بد من إتاحة الفرصة للنقد، وقيام مختلف المؤسسات الأهلية الفاعلة.

٢/ وجود مراكز قوى تستفيد من الواقع القائم، وتخشى من التطوير

(١) الفياض: الشيخ محمد إسحاق، المسائل المستحدثة، ص٧، مؤسسة معرفي، الكويت، ٢٠٠٥م

والتغيير أن يكون على حساب مصالحها ومكاسبها، ولذلك تعارض المراجعة والتجديد والإصلاح، حتى تبقى الأمور كما هي، لأنها تستفيد من ذلك بحفظ مصالحها ومكاسبها.

عوامل الإصلاح والتغيير:

من أجل أن تحصل نهضة الإصلاح والتغير في أي مجال من مجالات حياة الأمة، لا بد من توفر ثلاثة عوامل:

الأول: مبادرة القيادات:

القيادات الدينية والسياسية في الأمة يجب أن تبادر، وأن تتصدى للإصلاح والتغيير، وإلاَّ فالوضع ينذر بخطر كبير، العالم لن يسمح لنا أن نبقى على ما نحن فيه، أضرار هذا الواقع المتخلف الذي نعيشه ما عادت تقتصر علينا، أصبح العالم يعاني من إفرازاتها ونتائجها، لا يقبل العالم أن تبقى هذه الأمة عائقًا أمام حركة التطوير العالمي، كما أن هناك أطماعًا واستهدافات عدائية، وتوجهات ضد الأمة ومصالحها، تستثمر هذا الواقع المتخلف لشنّ حملاتها على الأمة، للهيمنة على إرادتها وثرواتها. وهناك تململ وغضب في أوساط جماهير الأمة، وإذا لم تنطلق مبادرات لإصلاح هذا الواقع تحصل انفجارات وكوارث.

وما هذه التوجهات الإرهابية العنفية إلا من إفرازات المآزق والأزمات التي تعيشها الأمة، وما هو قادم أخطر إن لم تكن هناك مبادرة من قيادات الأمة للإصلاح والتطوير، من هنا نثمِّن المبادرة التي أقدم عليها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حينما دعا قيادات الأمة وعلماءها للاجتماع في مكة المكرمة قبل سنتين لوضع خطة للإصلاح. ثم

انعقد مؤتمر قمة استثنائية لزعماء الدول الإسلامية بتاريخ ٥و٦ ذو القعدة ١٤٢٦هـ، لمناقشة التوصيات التي قدَّمها العلماء والمفكرون، وتم إقرارها والموافقة عليها، ولكن ماذا عن التطبيق العملي لتلك التوصيات من قبل الدول والأنظمة السياسية؟

هذا ما يجب أن يتفعَّل في كل دول الأمة ومجتمعاتها، وليس مجرد طرح نظري. فالأمة على مفترق طرق، وتواجه أخطاراً وكوارث كبيرة.

نحتاج إلى المبادرات الجريئة الشجاعة، لأن أيّ قيادة سياسية تريد الإصلاح لن تجد الطريق مفروشًا أمامها بالورود والرياحين، فهناك معوقات ومراكز قوى ضاغطة، وأيّ قيادة دينية تريد الإصلاح لن تواجه بإلقاء التحية والاحترام، ستكون هناك تعبئة ضدها، وستتهم في دينها، ولكن الأمر بحاجة إلى تضحية وإخلاص لله سبحانه كما يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[1].

الثاني: ثقافة الإصلاح:

أيّ قيادة تريد الإصلاح ينبغي أن تفكر في إنتاج الثقافة الداعمة لتوجهات الإصلاح، لأنه لا يمكن أن يحصل الإصلاح في بيئة ثقافية متخلفة. لا بد من تشجيع ثقافة الانفتاح، والوعي بمتطلبات الزمن، وإتاحة الفرصة لحرية الرأي والتعبير عن الرأي، على المستوى السياسي والديني والاجتماعي.

الثالث: تفاعل الجمهور:

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

وعي جمهور الأمة، واستجابتهم لبرامج الإصلاح والتغيير، هو الذي يؤذن بانطلاق نهضة الإصلاح، أما الاكتفاء باجترار الشعارات، وتمنيات التغيير، دون رفع مستوى الفاعلية والإنتاج، والالتفاف حول القيادات المخلصة، والبرامج الصالحة، فانه لن يغيّر من واقع الأمة شيئاً.

الإمام علي يتصدى للإصلاح:

ولنقترب من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يمكن القول بحق إنه رائد الإصلاح في وقت مبكر من تاريخ الأمة الإسلامية، إذْ تبنَّى عليه السلام نهجًا إصلاحيًا جريئًا.

فقد وصل إلى الخلافة بمبايعة شعبية جماهيرية، تختلف عن طريقة مبايعة الخلفاء السابقين، حيث وصل الخليفة أبو بكر إلى الخلافة عن طريق المبايعة في سقيفة بني ساعدة، والخليفة عمر وصل إلى الحكم عن طريق ترشيح من الخليفة أبي بكر، والخليفة عثمان وصل إلى الحكم عن طريق مبايعة ستة من الصحابة عيَّنهم الخليفة عمر ضمن قصة الشورى المعروفة، ولكنَّ الإمام عليًا عليه السلام وصل بطريقة أخرى، ذلك أن جماهير الأمة ازدحمت عليه وطلبت منه تولي الخلافة كما قال عليه السلام فيما روي عنه: (فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ)[1].

وامتنع الإمام علي عن قبول البيعة أياماً كما تشير بعض مصادر التاريخ، إلّا أنه استجاب إنقاذاً للموقف، وتحملاً للمسؤولية، وصارح الجمهور منذ البدء بأنه سيعتمد سياسة الإصلاح والتغيير، وفق ما يراه من تحقيق

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم٣.

لقيم الإسلام ومبادئ تعاليمه.

جاء في تاريخ الطبري: (عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا حسن هلّم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك. قال فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً...)[١].

وذكر الطبري أكثر من رواية تؤكد هذا المضمون، وأن علياً كان يذكر لهم أنه إن تولى الخلافة، فسيطبق منهجه في الإصلاح، كقوله عليه السلام: (واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ)[٢].

ومن المعروف تاريخيًّا أنه في عهد الخليفة عثمان بن عفان، حصلت أوضاع لم يكن أكثر الصحابة يحبذونها ويرضون عنها، وكانت جماهير الأمة منزعجة منها، لأن بطانة قد التفت حول الخليفة من أقربائه، الذين كانوا محل ثقته، وهؤلاء أساؤوا استغلال ثقة الخليفة بهم، ولسنا الآن في وارد الاسترسال في التفاصيل فهي موجودة في كتب التاريخ، ومن البحوث الجميلة الموضوعية، البحث الذي كتبه الشيخ أبو الأعلى المودودي، العالم المعروف مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٧٩م، وكتابه تحت عنوان (الخلافة والمُلك)[٣] وهو مطبوع أكثر من طبعة، تناول فيه التغيُّرات التي حصلت في واقع الأمة في عهد الخليفة عثمان، إذْ حصل ابتعاد عن نهج

(١) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٤٥٠، مؤسسة الأعلمي، ط٥، ١٩٨٩، بيروت.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

(٣) المودودي: أبو الأعلى، الخلافة والملك، دار القلم، ط١، ١٩٧٨م، الكويت.

النبوة ونهج الخلافة الراشدة، فأصبح هناك تلاعب بالثروات من قبل هذه البطانة، مما سبَّب حالة من الغضب في أوساط جماهير من الأمة، انتهى بالهجوم على دار الخليفة وقتله بصورة بشعة، مما كرَّس حالة العنف السياسي في تاريخ الأمة.

جاء بعد ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للحكم، فطرح نهجه الإصلاحي، ولا ننسى أن الإمام عُرض عليه أن يصبح هو الخليفة بعد مقتل الخليفة عمر، ولكن بشرط تصادر فيه حريته في الإصلاح والتغيير، تحت عنوان الالتزام بسيرة الشيخين، فرفض الإمام الخلافة بهذا الشرط، وقبلها عثمان. وهذا ما دوَّنته كتب التاريخ، حيث اجتمع الستة أصحاب الشورى الذين عيَّنهم الخليفة عمر بعد إصابته، طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وكانت إدارة الاجتماع لعبد الرحمن بن عوف، الذي التفت إلى علي بن أبي طالب، قائلاً: هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، وفق ما ذكره الطبري[١]. وذكر ابن الأثير: أن عبدالرحمن بن عوف دعا عليّاً وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال علي: أرجو أن أفعل فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي[٢]. فاتجه ابن عوف لمبايعة عثمان بن عفان الذي قبل بهذا الشرط ولم يتحفّظ عليه.

وقد علق على هذا الموقف الدكتور إسماعيل الشطي من رواد الحركة الإسلامية في الكويت، مشيراً إلى نقطة مهمة، حيث قال ضمن مقال له:

(١) الطبري: محمد بن جرير، ج٣، ص٣٠١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٣، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٩٨٩م، بيروت.

(ولقد كاد الجيل الأول من المسلمين رضوان الله عليهم، أن يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في إدارة الدولة جزءاً من الشريعة، لولا تصدي الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في أول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب الله وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لا يعدو كونها اجتهاداً بشرياً، يسع من بعدهم، ويتسع لآفاق المستقبل السحيق. وبتضحيته هذه، أوقف الإمام -كرّم الله وجهه- زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات)[1].

المبادرة للإصلاح:

حين تسلم الإمام علي الخلافة بدأ في تطبيق منهجه الإصلاحي، رغم علمه بالعوائق الضخمة والعراقيل الهائلة التي ستواجهه، كما قال في تبريره لامتناعه عن قبول الخلافة: (دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ، لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ)[2].

ونجد هنا توفر أول عنصر لعملية الإصلاح، وهو المبادرة والتصدي، فكثيرون قد يحملون شعارات الإصلاح، ويطرحونها نظرياً، وهناك الغالبية من الناس يتطلعون إلى الإصلاح لتغيير أوضاعهم إلى الأفضل، لكن الانطلاق لن يكون إلا بالمبادرة والتصدي، والقيادات الدينية

(١) الشطي: الدكتور إسماعيل، الإسلام الذي نريد، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧١٣١، بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٩٨م.

(٢) نهج البلاغة: خطبة رقم ٩٢.

والسياسية هي من تتحمل هذه المسؤولية بالدرجة الأولى، وهي الأقدر على تحقيقها، بما تمتلك من أزمّة الأمور، ومواقع التأثير والنفوذ.

إن أي عملية إصلاح تستلزم تضحيات وخسائر، وتواجهها صعوبات وعوائق، لكن تصدي القيادات يجعل المهمة أقل صعوبة وأقرب للنجاح.

أما لو تركت الأمور لتفاعل النقمة والغضب في نفوس الناس، فقد تنفجر الأوضاع، وتخرج عن السيطرة، ويتصدى غير الكفوئين والمخلصين، ويجد أعداء الأمة فرصتهم للإفساد والتخريب.

وفي سيرة الإمام علي عليه السلام وسيرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، منابع للاستلهام، ودروس للاقتداء، مع ما بين الشخصيتين والتجربتين من فروقات لا تخفى، من حيث المكانة والصفات والظروف والأوضاع.

إن الخيار الأمثل أمام شعوب الأمة الإسلامية اليوم، للخروج من المأزق، وتجاوز واقع التخلف، هو المبادرة الجريئة من القيادات السياسية الحاكمة، للتوجه نحو الإصلاح، بالانفتاح على شعوبها، وتوسيع المشاركة السياسية، واعتماد نهج الحق والعدل.

كما أن على القيادات والمرجعيات الدينية أن تجهر بمواقف الحق، وألَّا تداهن التوجهات المسيئة للإسلام، والمخالفة لمبادئه وقيمه، وأن تبادر للإصلاح على المستوى الفكري والثقافي.

برامج الإصلاح:

لقد بادر الإمام عليّ من بداية حكمه لتنفيذ برامج الإصلاح، فعزل الولاة غير الصالحين للولاية، الذين أخذوا مواقعهم ضمن معادلة المحسوبيات، واستأثروا بالامتيازات وثروات الأمة.

كما استرد أموال بيت المال من أيدي الحائزين عليها بطرق غير مشروعة، ولم يقبل التغاضي في ذلك، بل أجاب المعترضين بقوله: (وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، ومُلِكَ بِهِ الإمَاءُ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، ومَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ)[1].

ووضع الرقابة على الولاة والعمال، واستخدم الحزم مع أي انحراف أو مخالفة من قِبَل أحد منهم.

وكان من أهم برامج الإصلاح تطبيق العدالة والمساواة بين الناس في العطاء، بعدما عانى الناس من التمييز بينهم، مما عمَّق الطبقية، وراكم الثروات عند طبقة، وزاد الفقر عند باقي الطبقات.

وقد واجهته ضغوط كبيرة، لكنه ثبت أمامها، وأصرّ على نهج العدل والمساواة، صارخاً في وجوه المعترضين: (أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ واللَّهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّه)[2].

ثقافة التغيير والإصلاح:

لكي تشق برامج الإصلاح طريقها في ساحة الأمة، لا بُدَّ من ثقافة داعمة، تشجع الناس على تجاوز ما ألفوه من عادات سيئة، وأفكار غير صحيحة، وتحصّنهم من تأثيرات مراكز القوى المضادة لعملية الإصلاح، وتخلق بيئة مناسبة للتغيير.

وهذا ما توجَّه إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسيرة حكمه، حيث أردف قراراته الإصلاحية بهجوم ثقافي، لإحياء قيم العدل والصلاح في نفوس

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم١٥.

(٢) نهج البلاغة: خطبة رقم ١٢٦.

الناس، ولمواجهة تيارات الفساد والانحراف. فهو عليه السلام يقوم بمهمتيه كخليفة حاكم وكإمام مرشد في الوقت نفسه.

لذلك كان التراث الفكري والمعرفي لعلي عليه السلام متميزاً في الكم والكيف عن بقية الخلفاء، حيث نقلت عنه المصادر عدداً كبيراً من الخطب التي ألقاها على جماهير الناس، والرسائل التي وجهها لولاته وموظفيه، والوصايا التي خاطب بها أصحابه ومن حوله.

وقد جمع الشريف الرضي قدس سره مختارات من كلام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، في كتابه المشهور نهج البلاغة، ضم ٢٣٩ خطبة، و ٧٩ رسالة، إضافة إلى عدد ضخم من قصار الكلمات، لكنها لا تمثل إلا جزءاً من تراث الإمام. وقد انبرى أحد العلماء المحققين المعاصرين هو الشيخ محمد باقر المحمودي (١٣٤١-١٤٢٧هـ)، لجمع سائر خطب الإمام ورسائله ووصاياه، فكانت أضعاف ما تضمنه نهج البلاغة، وطبع هذه الموسوعة في ثمانية أجزاء تحت عنوان: (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، واشتملت هذه الموسوعة على ٤٠٩ خطبة، و١٨٥ رسالة، و٦٥ وصية، و١٠٥ دعاء.

ومما يشير إلى هذا الجهد المعرفي الثقافي الذي بذله الإمام علي عليه السلام مدة خلافته -على قصرها- ما ذكره المؤرخ المسعودي (توفي ٣٤٦هـ) في مروج الذهب حيث قال: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانون خطبة)[1].

وقد نقل مثل ذلك أحمد ابن إسحاق اليعقوبي (من علماء القرن الثالث الهجري) في كتابه (مشاكلة الناس لزمانهم) قال: (وحفظ الناس عنه

---

(١) المسعودي: علي بن الحسين، مروج الذهب، ج٢، ص ٤١٩، دار الهجرة، ط٢، ١٩٨٤، قم.

الخطب، فإنه خطب بأربع مئة خطبة حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم وكلامهم)[١].

هذه رؤوس أقلام سريعة عن تجربة علي عليه السلام وسيرته في الإصلاح والتغيير، تلك التجربة التي حمّلته أشد العناء، حيث خاض ثلاث حروب قاسية، حرب الجمل وصفين والنهروان، وما كان لأحد غير علي عليه السلام أن يثبت أمام تلك الضغوط الهائلة، ليقدم للأمة وللأجيال البشرية خير تجربة في ممارسة الإصلاح وإقامة الحكم العادل الرشيد، كما قال عليه السلام: (أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ولَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا واشْتَدَّ كَلَبُهَا)[٢] وقدم حياته ثمناً لهذا النهج الإصلاحي، حيث قضى شهيداً في محراب صلاته، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًّا.■

(١) اليعقوبي: أحمد بن إسحاق، مشاكلة الناس لزمانهم، ص١٥، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٢، بيروت.

(٢) نهج البلاغة: خطبة رقم ٩٢.

الشيخ الصفار:
الإصلاح الشامل أو الإنفجار من الداخل[1]

قال الشيخ حسن الصفار أن الأمة على مفترق طرق ولا بد من تجاوز عقدة الممانعة للتغيير، فإما المبادرة بالإصلاح الشامل وإلا فالمزيد من الكوارث والأزمات التي قد تفجر الأمة من الداخل.

وأضاف الصفار في معرض محاضرة تناولت الإصلاح السياسي عند الإمام علي ألقاها ليلة الجمعة في ذكرى استشهاده أن على رموز وقادة الأمة السياسيين والدينيين تحمل مسؤولياتهم إزاء ما آلت اليه الأوضاع.

وأعاد الصفار التذكير بأهمية قراءة الإمام علي من جديد بما يعيننا على

---

(١) تقرير خبري عن المحاضرة نشرته مواقع الانترنت بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٦م.
- موقع الشيخ الصفار www.saffar.org.
- موقع شبكة راصد الإخبارية www.rasid.com.
- الوكالة الشيعية للأنباء www.ebaa.net.

معالجة مشاكلنا القائمة وأخذ العبر لا بما يزيد من انغماسنا في إشكاليات الماضي التاريخية.

وأرجع أهمية المراجعة، لاحتمالية وجود الخطأ باستمرار لدى الجميع أو وجود الانحراف المقصود أو غير المقصود وأخيراً لطبيعة التطور وما يقتضيه واقع اليوم.

وأضاف أن مكمن التخلف لدى أغلب بلداننا يعود لوجود ثقافة الممانعة للتغيير ووجود قوى مصلحية مختلفة تخشى فقدان مصالحها.

وحذَّر الصفار من بروز المزيد من الكوارث والأزمات إذا لم تبادر رموز الأمة السياسية والدينية للإصلاح الشامل فالإرهاب الديني والفقر والتخلف من الداخل وشبح التقسيم والغزو من الخارج وعلى الأطراف.

وحول العناصر المساعدة على الإصلاح، رأى الصفار أننا بحاجة إلى الجرأة والصبر أمام الاتهامات إلى جانب بث ثقافة إصلاحية بين الجمهور وأخيراً وعي الجمهور المساند للإصلاح.

وقال إن بلدنا كما العديد من البلاد الأخرى يعاني الفساد الإداري، وأن مسؤولية ذلك لا تعود للحاكم وحده، بل تقع علينا جميعاً، فالجميع معني ومسؤول عن كشف التلاعب والفساد وإيصال ذلك إلى أعلى المستويات.

وأضاف أن هذه الممارسة مطلوبة على كافة المستويات بدءًا من إمام الجماعة إلى رئيس النادي والجمعية والمسؤول الحكومي ووصولاً إلى مراجع التقليد.

فلا بد لكل منَّا من موقف صريح وواضح إزاء نقد الخطأ وإبداء الاعتراض بالسبل الحكيمة خدمة للمجتمع والدين والوطن.

أضاف الصفار مؤكداً على الاقتداء بسيرة الإمام علي الإصلاحية قبل ومع وصوله للحكم بدعم جماهيري واسع بعد أن رفض فيما سبق استلام الحكم تحت شرط التزام اجتهاد من سبقه من الخلفاء.

فقد بادر علي إلى الإصلاح الشامل بعزل الولاة غير المرضي عنهم وإلغاء سياسية التمييز في العطاء بين المسلمين وإلغاء الامتيازات ولذلك خرج عليه المصلحيون.

وجاءت كلمة الشيخ الصفار ضمن برنامج «علي والأمة» الذي تنظمه لجنة الإمام الحسن بالشويكة في القطيف، وحضره جمهور واسع من أبناء المنطقة.

وسبق كلمة الصفار مشاركة شعرية في الإمام علي للشاعر حبيب المعاتيق الذي ألقى قصيدة نالت تفاعل الجمهور، فيما استهل الشاعر فريد النمر برنامج الليلة السابقة بقصيدة مماثلة.■



التنمية الإنسانية في عهد الإمام علي



حين نقرأ سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أثناء توليه للخلافة والحكم، ونتأمل رسائله للولاة والموظفين، وخطابه لجمهور الناس، نجد أنه كان مهموماً بتطوير حياة أبناء الأمة، وتنميتها في مختلف المجالات، وحسب مصطلح اليوم كان مهتماً بالتنمية البشرية، ولم يكن مجرد زعيم ديني يعنيه نشر العقيدة وتطبيق الشريعة فحسب، ولا مجرد حاكم سياسي يهمه توطيد سلطته وحكمه، بل كان صاحب مشروع حضاري يستهدف إسعاد الإنسان وتفجير طاقاته وكفاءاته، ليتمتع بحياة كريمة، ويتجه إلى الفاعلية والإنتاج، وذلك هو المقصد الأساس للعقيدة والشريعة.

ففي مجال التنمية السياسية، يشجع الإمام علي عليه السلام الناس على الجهر بآرائهم السياسية، وأن لا يترددوا في الاعتراض على الخطأ أمام الحاكم، وأن لا يتعاملوا مع الحاكم بمنطق التملق والتزلف. يقول عليه السلام :(فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ-أي عند أهل الغضب- ولا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ -أي بالمجاملة- ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ولا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ

عَلَيْهِ فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي)[1].

وقد أعلن الإمام أمام الناس ضمانه لحقوق المعارضة، وعدم مضايقتهم اجتماعياً، والضغط عليهم اقتصادياً، ولا استخدام العنف ضدهم، ما دامت معارضتهم سلمية لم يشهروا فيها السلاح.

جاء في دعائم الإسلام أنه عليه السلام خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال عليه السلام: (كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم من مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به)[2].

وفي مجال التنمية الاقتصادية، وتوفير حاجات المواطنين، نجد نصاً منقولاً في أكثر من مصدر تاريخي، أن علياً عليه السلام خاطب أهل الكوفة قائلاً: (ما أصبح في الكوفة أحد إلا ناعماً -أي مرفَّهاً-، وإن أدناهم منزلة ليأكل من البر، ويجلس في الظل -له مسكن-، ويشرب من ماء الفرات)[3].، والكوفة في ذلك الوقت، كانت مصراً عظيماً، ذات كثافة سكانية، وتنوع في الأعراق، يقطنه أناس من مختلف الأمصار، ومن مختلف البقاع، فيها عرب من مختلف قبائلهم، وفيها موالي أي عجم، وفيها عسكريون، وفيها

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٠٧.

(٢) القاضي النعمان: دعائم الإسلام، ج١، صـ٣٦٣، ط١،١٤٢٦هـ، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت.

(٣) المجلسي: محمد باقر- بحار الأنوار ج٤٠، صـ ٣٢٧، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مدنيون، وفيها أنواع من الناس بتوجهاتهم الفكرية المختلفة، فيها من كان يحب الإمام عليه السلام، وفيها من كان يناوئه.

قال السيد حسين البراقي (ت ١٣٢٢هـ) في كتابه تاريخ الكوفة: كانت الكوفة واسعة كبيرة تتصل قراها وجبّاناتها إلى الفرات الأصلي وقرى العذار فهي تبلغ ستة عشر ميلا وثلثي الميل، قال ياقوت في المعجم: ذكر أن فيها من الدور خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن[١].

مع هذا التنوع يقول عليه السلام : (ما أصبح بالكوفة أحدٌ إلا ناعماً)، أي يعيش النعمة، يتمتع بالنعم، أو من النعومة بمعنى: الرخاء، وهذا يعني أن كل ساكني الكوفة، سواء من أهلها أو الآتين إليها، لم يعد فيهم أحدٌ إلا وهو يتمتع بالنعم، ثم يقول عليه السلام : (إنّ أدناهم مرتبة) الحد الأدنى في حياة أهل الكوفة (ليأكل من البرّ) وهذا يعني أنه لا يوجد جائع في الكوفة، أقل الناس رتبة في وضعه الاجتماعي والاقتصادي يتوفر له الطعام الكافي، (ويجلس في الظل) يمتلك مسكنا يأوي إليه.

فالطعام والسكن متوفر لكل أحد، وكذا الماء (ويشرب من ماء الفرات).

ولهذا النص تأكيدات جاءت في نصوص أخرى منها أنه مرَّ شيخٌ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟!

(١) البراقي:حسين، تاريخ الكوفة، صـ١٣٤، ط١٩٦٠،٢، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

أنفقوا عليه من بيت المال[١].

لا يوجد فرق عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بين أن يكون هذا الإنسان مسلماً أو نصرانياً، يجب أن تتوفر لكل أحد سبل الحياة الكريمة، وحاجاته الأساس.

وروي أنه: دخل الناس على أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يستشهد بيوم، فشهدوا جميعاً أنّه قد وفّر لهم فيئهم، وظَلَف عن دنياهم، ولم يرتش في إجراء أحكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقالاً، ولم يأكل من مال نفسه إلا قدر البُلغة، وشهدوا جميعاً أن أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه[٢].

وكان الإمام علي عليه السلام يحمل قلقاً وهمًّا لاحتمال وجود حالة فقر في المناطق البعيدة عن مقرّ خلافته، يقول عليه السلام (ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ)[٣].

اتجاهات التنمية:

ويمكننا أن نلحظ أن توجهات الإمام في تحقيق التنمية الإنسانية في أبعادها المختلفة، كانت تعتمد ثلاثة مناهج:

---

(١) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام،ج ٦، صـ٢٩٢، حديث رقم٨١١، ط٢، دار الكتب الإسلامية، النجف.

(٢) الشيخ المفيد: كتاب الاختصاص، صـ ١٦٠، ط٧، ١٤٢٥ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

(٣) نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

الأول: استنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، وليفجر طاقاته الكامنة، وليتسلح بالطموح وعلو الهمة.. وفي ما نقل من كلام علي عليه السلام في نهج البلاغة وغيره من المصادر ثروة هائلة عظيمة في هذا السِّياق.

الثاني: دعوة الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، بما نطلق عليه الآن العمل الأهلي التطوعي، كقوله عليه السلام في وصيته للحسنين: (أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وأَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وإِنْ بَغَتْكُمَا، ولا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وقُولا بِالْحَقِّ، واعْمَلا لِلأجْرِ، وكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، ولِلْمَظْلُوم عَوْناً. أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ، ونَظْمِ أَمْرِكُمْ، وصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه وآله يَقُولُ (**صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ**).اللَّهَ اللَّهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، ولا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ)[1].

الثالث: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية، وهذا ما تؤكده سيرة الإمام مع الشعب، وتوجيهاته للولاة والموظفين، ومن أبرزها وأشملها عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر.

حيث يؤكد الإمام عليه السلام في فقرات هذا العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم، يقول عليه السلام: (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ).

(١)نهج البلاغة كتاب ٤٧.

ويلفت الإمام نظر واليه إلى أن مهمته لا تقتصر على أخذ الضرائب من الناس، وهو ما يطلق عليه جباية الخراج، بل إنه معنيٌّ باستصلاح أمور أهل البلد في مختلف جوانبها الدينية والدنيوية، وعمارة البلاد، ومواجهة أي عدوان عليها. يقول عليه السلام: (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا واسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلادِهَا) ويؤكد الإمام على أولوية التنمية وزيادة الإنتاج قائلاً: (ولْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ).

ويتحدث الإمام عليه السلام في هذا العهد حول دور كل طبقة من طبقات المجتمع، كالعسكريين والقضاة والموظفين والصناعيين والمزارعين والتجار، في صناعة التنمية، وتحقيق التقدم، محدِّداً واجبات الدولة في دعمهم والتعامل معهم.

يقول عليه السلام:(واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ).

ويؤكد على اختيار موظفي الدولة بناءً على الكفاءة والخبرة، وليس بدافع المحسوبية والاستئثار الفئوي. ثم متابعة الإشراف والرقابة عليهم، حتى لا يقصِّروا في مهامهم، ولا يسيئوا استخدام مواقعهم.

يقول عليه السلام:(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً ... ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ والرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ).

كما يوجّه الإمام الدولة إلى الاهتمام بالفقراء والمحتاجين وذوي

الأمراض المزمنة، وأن عليها أن تبحث عن مواقع الضعف والحاجة في المجتمع، وأن تعتمد في رعايتهم على ذوي الثقة وحسن التعامل. يقول عليه السلام:(ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَى والزَّمْنَى... وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ-أي تستصغره-وتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ، لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ).

إن عهد الإمام علي لمالك الأشتر يشكل وثيقة سياسية تربوية رائعة، ولا ينبغي أن نقرأه باعتباره برنامجاً للحاكم فقط، بل علينا أن نستلهم منه الرؤية لدور المجتمع في إنجاز التنمية الشاملة.

مجتمعاتنا وضرورة التنمية:

تفاوت كبير وبون شاسع بين ما توفره البلاد المتقدمة لمواطنيها من ظروف الحياة الكريمة، وفرص التعليم والعمل والإنتاج، والرعاية الصحية، وأجواء الحرية والديمقراطية، وبين واقع البلدان النامية، حيث الواقع المتخلف، وافتقاد قطاع كبير من المواطنين للحد المعقول من الحياة الكريمة، بسبب الفقر، وتفشي الأمية، وانعدام فرص التعليم والعمل، إلى جانب افتقاد أبسط مقومات الحرية، وغلبة القمع الفكري والسياسي.

وقد دفع هذا التفاوت الملايين من شباب البلاد النامية، أو العالم ثالثية، إلى البحث بكل السبل عن أي فرصة للهجرة، والعمل في البلاد المتقدمة، ويكفي مثلاً على ذلك ما نراه من الحوادث المميتة والمتكررة التي يتعرض لها آلاف الشباب من إفريقيا والمنطقة العربية، بمخاطرتهم بأرواحهم وأموالهم بالهجرة غير الشرعية، عبر البحار في ظروف غير آمنة، وغير مضمونة، للبلدان المتقدمة في أوروبا الغربية واستراليا، لينتهي الحال

ببعضهم طُعماً لأسماك البحر. عدا الصفوف الطويلة من طالبي تأشيرات الهجرة والعمل أمام السفارات الأجنبية في بلادنا العربية.

ونجد على سبيل المثال بأن الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة إذا أرادوا الاستثمار المضمون ذا المردود الجيد، فإنهم يستثمرون أموالهم هناك، ولهذا تأخذ مليارات الـدولارات العربية طريقها نحو الاستثمار في البلاد الأوروبية والأمريكية، لماذا؟ لأن تلك البلاد تتمتع بظروف أنسب للاستثمار الاقتصادي والإنتاج، وظروف العمل المناسبة، وسلامة القوانين. من هنا برزت هذه الهوة الكبيرة، والفارق الشاسع، بين تلك البلاد وبلدان العالم الثالث.

وإدراكاً من المؤسسات الدولية العالمية بخطورة هذا الأمر أنشأت الأمم المتحدة قسماً تحت عنوان «البرنامج الإنمائي» يهتم بقضايا التنمية البشرية، ويصدر عنه سنوياً تقارير دولية عن التنمية البشرية في مختلف دول العالم، وصدر عن هذا البرنامج حتى الآن أربعة تقارير خاصة بالمنطقة العربية تحت عنوان تقرير التنمية الإنسانية العربية.

وتجاوباً مع هذا المسار أصدرت بعض الدول العربية تقاريرها المحلية الخاصة بالتنمية، ففي المملكة العربية السعودية منذ العام ٢٠٠٣ أخذت تصدر وزارة الاقتصاد والتخطيط تقريراً سنويًّا يرصد وضع التنمية في البلاد.

ويعرف الخبراء التنمية الإنسانية، -كما جاء في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ١٩٩٠م- : بأنها عبارة عن عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة للناس، وقد تكون تلك الخيارات متغيرة مع الزمن وغير نهائية، إلا أنه في كافة مستويات التنمية، فالخيارات الثلاثة الضرورية التي يجدر

توفرها هي: التمتع بحياة صحية وطويلة، واكتساب المعرفة، وتحصيل الموارد اللازمة لتحقيق العيش الكريم.

وللتنمية البشرية جانبان:

الأول: هو تكوين القدرات البشرية، مثل تحسين المستوى الصحي والمعرفي وتطوير المهارات.

والآخر: هو استفادة الناس من هذه القدرات المكتسبة في العمل المنتج، والحركة الاجتماعية والسياسية، والنشاط الثقافي والترفيه.

فحينما نجد أن هناك تخلفاً، وأن هناك موارد نقص في ظروف الحياة التي يجب أن تتوفر لنا كبشر وكمواطنين، فإن علينا أن نهتم بالتفكير في تحسين أوضاعنا وظروفنا، والسؤال هنا؛ من المسؤول عن إنجاز وتحقيق التنمية البشرية ؟

يعتقد كثير من الناس أن المسؤولية تقع حصراً على عاتق الحكومات التي بيدها مقاليد التحكم في الثروات الوطنية، فهي المعنية مباشرة بالتنمية البشرية للمجتمعات.. وهذا صحيح إلى حد بعيد، فالحكومات تتحمل الدور الأساس والرئيس في هذه المسألة، لكن لا يمكن بحال إغفال دور المجتمعات والشعوب في حض الحكومات من أجل وضع السياسات التنموية الصحيحة، ومن أجل التطبيق الصحيح لهذه السياسات، وللشعوب دور أساس في تحقيق التنمية والرقي من خلال فاعليتها ونشاطها وعطائها، ولذلك أشارت مختلف التقارير إلى أهمية دور منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية في هذا الاتجاه.

من هنا لا يصح إلقاء اللائمة على الحكومات وحسب، واعتبار أنفسنا

في معزل عن تحمل المسؤولية، والاكتفاء بندب الحال بدعوى أن الحكومة لم تتحرك لفعل الشيء المطلوب.

والسؤال المهم هو: أين دور المواطنين؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، هناك ثلاث مهام يجب أن نفكر فيها وأن نهتم بها من أجل أن نساعد أنفسنا ونحسِّن أوضاعنا ونرتقي من خلالها بمستوى مجتمعنا:

إنتاج ونشر ثقافة التنمية:

فكما أن للتنمية ثقافتها كذلك للتواكل والخمول ثقافته، ولعل مشكلتنا تكمن في انتشار النوع الثاني من الثقافة في أجوائنا. نحن بحاجة إلى ثقافة حيّة تدفع كلاًّ منا لكي يفجر طاقته، ويعمل ما بوسعه من أجل تحسين وضعه الشخصي، والمساعدة في تحسين أوضاع الآخرين.

ولعلها إحدى المشكلات الغريبة جداً حين نجد أن بعضنا لا يهمه السعي نحو تحمل المسؤولية تجاه ذاتـه، فضلاً عن سعيه نحو تحمل المسؤولية تجاه غيره من الناس، فتجد الواحد من هؤلاء يعيش الفقر ويستسلم له، ويعيش البطالة ويخضع لها، ويعيش الجهل ولا يسعى لمواصله التعليم وكسب المعرفة.

والأسوأ في ثقافة الخمول هو تجيير بعض جوانب الثقافة الدينية من خلال الطرح المجانب للصواب ليكون الدين بالنهاية في خدمة حالة الخمول والتقاعس، وذلك من خلال تزهيد الناس في الحياة الدنيا، غافلين عن أن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة وأن من كان عاجزاً في دنياه فهو عن آخرته أعجز. وأن من لا معاش له لا معاد له، كما هو نصّ ومفاد روايات كثيرة. وضمن أجواء هذه الثقافة الخاملة نجد صنفاً من الناس لا همَّ لهم

إلا تثبيط العزائم، فهم يشعرونك بعدم جدوائية أي عمل تريد الإقدام عليه، فإذا أردت أن تعمل مشروعاً اقتصادياً خوّفوك من الخسارة، وإذا فكرت بالذهاب للعمل في أي منطقه أخرى بعيداً عن بلدك زرعوا في نفسك القلق من الغربة، وإذا أردت أن تشترك مع آخرين في مشروع حذّروك من سوء الشراكة مع الآخرين.. وهكذا دواليك من ألوان الثقافة السلبية والتثبيطية.

من هنا نحن بحاجة إلى الثقافة التي تفتح أمام الناس آفاق الطموح والتطلع في هذه الحياة، والتي تزيح من أمامهم الحواجز المانعة من الانطلاق والعمل.

وينبغي على الخطباء الدينيين والمؤسسات الدينية والإعلامية التشديد على زرع ثقافة التنمية والطموح والرغبة في التقدم والفاعلية والعمل عند الناس.

المؤسسات الأهلية:

تركز التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية والأمم المتحدة على أهمية دور منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الأهلية. ذلك أن وجود المؤسسات الاجتماعية الأهلية يعطي مؤشراً على تقدم مستوى الوعي لدى الناس، كما يعني تحمل الناس لمسؤولية أنفسهم، ونجاحهم في خلق حالة من التعاون فيما بينهم، وهذا أمر في غاية الأهمية لرقي أي مجتمع.

الدول المتقدمة تعج بالمؤسسات والمنظمات الأهلية التي لا تكاد تجد شأناً من الشؤون الحياتية إلا وله منظمة أهلية تهتم به، أو مؤسسه اجتماعية تتابع شأنه.

ولقد تجاوز أولئك الناس في اهتماماتهم الإنسانية حدود بلدانهم،

فأسسوا المنظمات الأهلية التي تمارس عملها على مستوى الكرة الأرضية، فهناك المنظمات الحقوقية والطبية والإغاثية، فمنظمة العفو الدولية، أو أطبّاء بلا حدود، أو هيئة الإغاثة الدولية، باتت أشهر من أن تعرف.

حتى إن امرأة واحدة كالأم تريزا (١٩١٠-١٩٩٧م) تنطلق من مقدونيا في قلب أوروبا لتتفرغ للعمل الإنساني ضمن توجهاتها التبشيرية في الهند وأفريقيا ولتؤسس عبر مسيرة حياتها عشرات الملاجئ والبيوت لاستيعاب آلاف الأيتام والمرضى والمنبوذين وذوي الأمراض الميؤوس من شفائها.

والمؤسف في مقابل ذلك أننا نجد بعض مجتمعاتنا لا تسعى لسد احتياجاتها المحلية في المدينة والقرية، وإن بعض الحالات التي تعيشها الجمعيات الخيرية في مناطقنا تبعث على الخجل، فنظرة إلى بعض التقارير الصادرة عن هذه الجمعيات تكشف بأن حجم التبرعات القادمة من خارج منطقتها تعادل أضعاف تلك الواردة من داخلها.

ولعل الحاجة لمثل هذه المؤسسات ليست نابعة فقط من الحاجة لمعالجة حاجات المجتمع فحسب، وإنما للمتابعة والتواصل مع الدوائر الحكومية أيضاً. من هنا تنبع أهمية الفكرة المطروحة التي تتبناها المجالس البلدية، في تأسيس ما أطلق عليه بمجالس الأحياء، وتنبع أهميتها من زاوية بعث الاهتمام لدى أهالي كل حي بضرورة الاهتمام بشؤون حيِّهم السكني من خلال انتخاب مجموعة تدير هذا المجلس، وتنصب جهودها في تلبية حاجات الحي من مختلف الخدمات عبر التواصل مع الجهات المعنية.

برامج التنمية :

نحن بحاجة إلى مزيد من اللجان الأهلية بما يتجاوز تلك القائمة الآن، وبحاجة إلى أكثر من لجنة تتصدى باتجاه برامج تدعم التعليم العام، وإلى جهد أهلي يواكب مدارس التعليم العام ويتفاعل معها، وعلى المنوال نفسه، نحن في أمس الحاجة إلى لجان أهلية مساندة في قطاع الصحة، ولعل في لجنة أصدقاء المرضى التابعة للغرفة التجارية بالمنطقة الشرقية خير مثال، لماذا لا تشكّل لجنة أصدقاء المرضى في المنطقة لغرض زيارة هذه المستشفيات والتواصل مع إداراتها لسدِّ بعض النواقص وإيصال الشكاوى إلى جانب المساندة والدعم؟ فهذا بالتأكيد سيجعل من إدارة المستشفى أكثر جدِّية وحزماً في التعاطي مع مختلف الأخطاء ومواقع القصور.

العديد من المرضى في بلادنا يقصدون أهل الخير طلباً للمساعدة في متابعة العلاج أو لعجزهم عن شراء الأدوية، وهذا ما يحتِّم علينا إيجاد جهات أهلية ترعى مثل هؤلاء.. ويتكرر الأمر كذلك على صعيد التوظيف، وهنا من المهم التنويه بالجهود الطيبة لدى بعض الجمعيات الخيرية التي بادرت باستحداث أقسام للتأهيل والتوظيف ومساعدة الشباب في إيجاد فرص العمل.

ولعلنا نذكر بهذا الصدد صندوق المئوية التي نبعت فكرته الأم على يد ولي عهد بريطانيا الأمير تشالز، والتي يَنصبُّ هدفها الأساس في دفع الشباب نحو إيجاد وتأسيس مشاريع ومؤسسات صغيرة بالاعتماد على تمويل هذا الصندوق، وتقديمه الخبرة والتسهيلات، لقد شق هذا الصندوق طريقه تدريجاً إلى مناطق مختلفة عبر العالم، وبالفعل تمَّ على غرار ذلك تأسيس صندوق المئوية بالمملكة قبل نحو عامين.

وكذلك الأمر على المستوى الثقافي، نحن بحاجة لمبادرات شبابية على

المستوى التقني والثقافي ترعى أعمالاً تطوعية في مختلف الاتجاهات، وعلى هذا الهدي سيكون الأمر في قمة السلوك الحضاري لو تصدى من بيننا مَنْ هم على استعداد لتبنِّي طباعة الإنتاج الثقافي لأصحاب القلم غير المقتدرين على طباعة إنتاجهم الثقافي والأدبي والديني.■

الشيخ الصفار:
نعم لتأسيس منظمات المجتمع المدني[1]

دعا الشيخ حسن الصفار الفاعليات الاجتماعية والثقافية وأهالي المنطقة للمبادرة في تأسيس منظمات المجتمع المدني التي وصفها بأنها قادرة على بناء وتوظيف القدرات وتنظيم وتنمية شؤوننا الحياتية المختلفة.

وقال الصفار في محاضرته الختامية الليلة الماضية ضمن برنامج «علي والأمة» بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي أن العمل الأهلي إذا لم يتفوق على الأداء الحكومي فهو لا يقل عنه أهمية في مجال التنمية الاجتماعية. وخاطب الجمهور الذي اكتظت به ساحة الشويكة في القطيف بأن التحرك

(١) تقرير خبري عن المحاضرة نشرته مواقع الانترنت بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٦م.
- موقع الشيخ الصفار www.saffar.org.
- موقع شبكة راصد www.rasid.com.
-موقع صفوى الإخبارية www.safwanews.com.

الشعبي المنظم أساس ومحفِّز مباشر للعمل الحكومي.

مضيفاً بأنه لا يجوز إلقاء كامل المسؤولية على الحكومات والتخلي المطلق في المقابل من جانب أبناء المجتمع عن تنمية وتطوير أوضاعهم الحياتية والمعيشية.

وأشار الصفار إلى أن التنمية الاجتماعية بحاجة إلى ثلاثة عوامل مهمة، أولها إنتاج ونشر ثقافة التنمية وتحمل المسؤولية في مقابل ثقافة الخمول والتقاعس، والثاني دعم العمل الأهلي والمؤسسات الأهلية، والثالث وجود برامج للتنمية في مجالات التعليم والصحة والتوظيف.

وأضاف، إننا بحاجة إلى ثقافة تدفع الناس للتطلع والطموح وتدفع باتجاه التعاون والانطلاق والمغامرة لا الجمود والتحجُّر.

كما رأى بأن تأسيس منظمات المجتمع المدني في أي منطقة دليل عافية ومؤشر إلى رقي ثقافة المشاركة والتعاون والعمل الجمعي.

.. داعياً الجميع إلى المبادرة في تأسيس تلك المنظمات الأهلية في مختلف ميادين الخدمة الاجتماعية.

وأشار الصفار إلى أن مجتمعنا وفي سبيل النهوض بحاجة إلى عشرات المنظمات الأهلية في مختلف المجالات في التدريب ورعاية الموهوبين ودعم التعليم العالي ورعاية المرضى وتوظيف العاطلين ودعم المشاريع الخاصة والعمل البلدي.

منتقداً بشدة اتجاه الكثير من أبناء المجتمع للانخراط في العمل في الشركات بأجور متدنية أحياناً والبعد في المقابل عن تأسيس الأعمال والمشاريع الخاصة والكبرى تحت مبررات غير مقنعة.

ودعى الصفار في ختام محاضرته إلى الاقتداء بالإمام علي، الذي استطاع

في فترة قياسية من حكمه المليئ بالاضطرابات والفتن، أن يقضي على الفقر والعوز، وأن يحقق العدالة في المجتمع الاسلامي، وأن يوفر حرية التعبير للجميع بما فيهم مناهضيه.

معرض الكتاب القطيفي:

وعلى هامش برنامج «علي والأمة» نظمت اللجنة القائمة على مدى ثلاث ليال معرضاً للكتاب القطيفي ضم أكثر من ١٢٠٠ عنوان لكتاب وكاتبات من أبناء محافظة القطيف.

المعرض الذي نظم في ساحة الشويكة اجتذب على مدى لياليه الثلاث المئات من المثقفين والزوار وعشاق القراءة.

وقال الأستاذ أمين التاروتي مشرف عام لجنة الإمام الحسن أن تنظيم المعرض جاء تقديراً للأقلام المحلية وإبـرازاً لمدى الثراء الثقافي لهذه المنطقة.

التاروتي الذي أشار إلى أن هناك عشرات أخرى من العناوين التي لم يتسنَّ عرضها هنا لظروف مختلفة تمنَّى بأن تتاح فرص لأخرى لإقامة معارض شبيهة في المستقبل.■

السيرة الذاتية للمؤلف

سماحة الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار .

□ موطنه:

ولد سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية.

□ الدراسة والتحصيل العلمي:

- تعلم القرآن الكريم ضمن الكتاتيب الأهلية في المنطقة.
- درس الابتدائية في مدرسة زين العابدين بالقطيف، ثم التحق بمدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.
- هاجر إلى النجف الأشرف - العراق للدراسة في الحوزة العلمية سنة (١٣٩١هـ-١٩٧١م)، ثم انتقل إلى الحوزة العلمية في قم - إيران سنة (١٣٩٣هــ - ١٩٧٣م)، ثم التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- تلقى علومه ومعارفه على يد مجموعة من العلماء الفضلاء من أبرزهم:
  - الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي.
  - آية اللّه الميرزا حسن الحائري.
  - آية اللّه السيد محمد تقي المدرسي.
  - العلامة السيد مرتضى القزويني.
  - العلامة السيد علي السيد ناصر السلمان.
  - العلامة الشيخ علي المرهون.

□ التدريس:

درس على يده عدد كبير من طلاب العلوم الدينية من مختلف المناطق، حيث قام بتدريس مادة اللغة العربية ضمن كتابي (قطر الندى) لابن هشام وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، كما قام بتدريس مادة الفقه الإسلامي ضمن كتابي (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي (وشرح اللمعة الدمشقية) للشهيدين الأول والثاني، وتدريس مادة أصول الفقه ضمن كتابي (أصول الفقه) للشيخ المظفر، (ورسائل) الشيخ الأنصاري، كما قام بتدريس مادة الاقتصاد الإسلامي، والأخلاق الإسلامية، وتفسير القران، ونهج البلاغة، والخطابة.

□ اجازات وشهادات:

تقديراً لكفاءته وتوثيقاً لدوره الديني والاجتماعي منحه عدد من كبار مراجع الدين وأعلام الأمة شهادات وإجازات للرواية والتصدي للمهام الدينية، ومن أبرزهم:

١.المرجع الأعلى الإمام السيد علي السيستاني ـ النجف الأشرف / العراق.
٢.المرجع الديني الإمام السيد محمد رضا الموسوي الكلبايكاني ـ قم / إيران.
٣.المرجع الديني الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي - قم / إيران.
٤.المرجع الديني آية اللّه العظمى الشيخ محمد إسحاق الفيّاض ـ النجف الأشرف / العراق.
٥.الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ـ لبنان.
٦.المرجع الديني آية اللّه العظمى السيد صادق الشيرازي – قم/إيران.
٧.المرجع الديني آية اللّه العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – قم / إيران.

□ الخطابة:

بدأ ممارسة الخطابة الدّينية عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، وعمره احدى عشر سنة، واستضافته مختلف المجتمعات لإحياء المواسم والمناسبات الدينية بمحاضراته، في الإحساء، والبحرين، والكويت، وسلطنة عمان، وقطر، ودبي، ودمشق، وقم، وطهران.

□ المؤلفات:

صدر له أكثر من ثمانين كتاباً في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، وترجم بعضها إلى لغات أخرى، ومن مؤلفاته المطبوعة:

١.التعددية والحرية في الإسلام.
٢.التسامح وثقافة الاختلاف.
٣. الشيخ علي البلادي القديحي.
٤.المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي.
٥.التنوع والتعايش.
٦.علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام.
٧.أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع- طبع منه ستة مجلدات.
٨.شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين.
٩. الحوار والانفتاح على الآخر.
١٠.فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع.

١١.الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان .
١٢. السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل.
١٣. المذهب والوطن.
١٤.السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته.
١٥.السياسة النبوية ودولة اللاعنف.
١٦. كيف نقرأ الآخر.
١٧.الاستقرار السياسي والاجتماعي.
١٨.الوطن والمواطنة.
١٩.بناء الشخصية ومواجهة التحديات.
٢٠.شهر رمضان والانفتاح على الذات .

- نشرت له عدد من المجلات العلمية والثقافية بحوثاً ومقالات منها: مجلة(الكلمة)، ومجلة (الواحة)، ومجلة(البصائر)، ومجلة (الحج والعمرة)، ومجلة(المنهاج)، ومجلة(رسالة التقريب)، ومجلة(الوعي المعاصر)وغيرها.
- كما نشرت له بعض الصحف اليومية مقالات أسبوعية منتظمة منها:
جريدة(اليوم) السعودية، وجريدة(الوطن) الكويتية، وجريدة(الأيام) البحرينية.
- عضو في الهيئة الاستشارية لمجلة(الكلمة) والهيئة الاستشارية لمجلة(الوعي المعاصر).
- عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وشارك في مؤتمرات الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض مؤتمرات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت، ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في مملكة البحرين.
- أنشأ ورعى عدداً من المؤسسات الثقافية والاجتماعية في مختلف المناطق.

□ العنوان:

يقيم في بلدة القطيف بالمملكة العربية السعودية، وعنوانه:

المملكة العربية السعودية
المنطقة الشرقية - القطيف ٣١٩١١
صندوق بريد: ١٣٢٢
هاتف: ٨٥٥٥٢١٠ ٣ ٩٦٦ + - فاكس: ٨٥١٢٦٠٠ ٣ ٩٦٦ +
البريد الالكتروني:
office@saffar.org
والموقع على الإنترنت:
www.saffar.org